رواية

حنان إبراهيم

انتقام الماضي

حب _خيانة _اغتصاب _ انتقام _

أول رواية

أول كلمات أكتبها

أول أحاسيس أريد مشاركتها مع غيري

و أول أحرف ذات معان أريد أن تصل للآخرين

يقولون بأن المسامح كريم

و بأن الحب أعمى و أول من يطبق هذه المقولة

.: انتقام الماضي

حب ....خيانة .... اغتصاب ..... انتقام

" ألو .... مرحبا "

" مرحبا وسام ...كيف حالك ؟ "

" ..... بخير ... الحمد لله"

" الحمد لله "

" ها .....ما الجديد ؟"

"قالت بضيق" أي جديد

" تابعت " .....تعرفين البلدة ..كما تركتها لا تزال ....مملة و مزعجة

" حقا .....و أنا التي قررت أن أعود "

ماذا ؟ .....حقا ..... يا إلهي .متى ...هيا قولي " كانت تتكلم بسرعة و بدهشة و بلهفة "

" صبرا عليّ "

" أنت لا تكذبين ..... ستعودين "

"ها..... سأعود "

" أنا .....جدددددددد ..سعيدة..... "

.....

في الحقيقة

لا أعلم

أنا خائفة من عودتي

خائفة من أن تفتح الدفاتر القديمة

دفاتر الماضي

المليئة بالحقد و الكره

و الخيانة

...

لا تريد أن تعود بذاكرتها

لماض أليم

لكن بعودتها

تجازف بالعودة إليه

لكن ما العمل فالمصير نفسه

أن أعود الآن أو بعد مائة سنة

سيبقى هو

و سأواجهه

سأواجه خيانة أمي

خيانتها التي لا يشفع لها

فقبل 5 سنين تقريبا

حيث كنت أبلغ 14سنين

انتشرت شائعات بأن أمي على علاقة برجل من عائلة غنية و مختلفة عنا في الكثير

في بداية الأمر رفضت أن أصدق الأمر

لكن أوضاع أبي و أمي المتوترة

شجارات صراعات لا تنتهي

تخرج أمي من البيت و لا تعود

و تغيب عنه كثيرا

كلها أثبتت بأنها على علاقة برجل آخر

لكن أي رجل

عمران *ألسلا*مي

والد وليد

وليد صديق طفولتي

و غالي عمري

التي بأي وجه نتقابل بعد هذه السنون

.

.

.

بعد أن فضحت علاقتهما البائسة

هربا من المدينة في طائرة ذلك الرجل الخاصة

و تحطمت بهم بعد أن اصطدموا بسرب طيور محلق

سرب طيور أخذ انتقام أبي من تلك الخائنة

خائنة دمرتني أنا و أبي

بسببك هربت من البلدة و لم أسطع البقاء

كما أنني بحجة الدراسة أرسلني أبي لمدرسة داخلية بالعاصمة

و من المدرسة الداخلية للكلية

و ها قد أنهيت كل حججي و مصيري العودة

أتمنى أن تكون البلدة قد هدأت

من البلبلة

و النمنمة في أمور و قصص الناس

.

....

عدت لكي أصبح مدرسة في مدينتي

كانت أمنيتي منذ طفولتي

بعد أن وقعت في غرام مدرستي

التي كانت تدرسني

في الاكمالية التي لم أنهيها في بلدتي

و عزمت أن أصبح مثلها

و لكن بدون غرور معدلي كان جيدا

وكنت أستطيع أن أدرس في أفضل المعاهد في البلد

.....

“ WELCOM princess”

" هههه ... ليس لتلك الدرجة ...أميرة ؟؟ .....أحسني التشبيه "

" على العكس ..أصبحت جميلة كالأميرة ..... أليس كذلك يا علي ؟ "

" منذ طفولتنا .... و وسام رائعة "

" ضربت كنزه كتف علي " هاي أنا خطيبتك لا تنسى

" ههه .أنت من طلب رأيي "

.....

" ابنتي .....حبيبتي اشتقنا إليك كثيرا "

" و.أنا بابا ..... اشتقت إليك "

" مرحبا ... كيف حالك وسام ؟"

" التفت لهيفاء " بخير الحمد لله

هيفاء هي زوجة أبي و ابنة خالة أمي

لا أدري كيف أن أبي تزوج ابنة خالة تلك الخائنة

أتذكر أن الأيام الأخيرة لأبي مع الخائنة التي كانت في غاية التوتر ، وكانت ابنة خالتها تأتي لعندنا و تدخل لمكتب أبي في غياب أمي و تقضي معه ساعات في التحدث و الضحك ، إلا أن أبي لم يخنها

أبي لم يخنك يا أمي

على الرغم من ابنة خالتك التي كانت تتغزل بأبي

لم يخنك و تجاهل حركاتها

و محاولتها تشويه صورتك القذرة من الأساس

و مع ذلك تشبث والدي بوهم نقاء زوجته إلى أن قررت الهرب مع ذلك الحقير و ظهرت الحقيقة

حقيقة بأنك امرأة خائنة

خدعت زوجها الذي أحبها بكل جوارحه

.....

" أتعلم من عاد "

" خيرا ... من ؟ "

".. أطلقت ضحكة مفتعلة " ابنة اللعينة علياء

" بدون مبالاة " و إن يكن ؟

" جيد أنك لا تبالي بالأمر "

قمت و توجهت لأمي و أمسكت يدها و طبعت قبلة على ظهر يدها " مدام *ألسلا*مي ..... لم تزعجين نفسك بالتافهين ... استرخي ..... لا تهتمي بتفاهتهم "

أنا لا تهمني هي و لا عائلتها المقززة مثلها

لا تهمني فتاة هربت من الواقع التي كانت تعيشه

و الذي سيطاردها مهما هربت منه

هربت مثل أمها

هربت أمها من عائلتها لعشيقها

و أنت مني لمن ؟

لا أعلم

لمن و لماذا و لأي غاية

لا أعلم

.....

" انظري ابنة علياء ..... ابنة عشيقة عمران *ألسلا*مي "

" حقا إنها هي .....ههه هيا لنبتعد "

كانت فتاتان شابات تتسوقان ثم التفوا غليّ و أخذوا يتهامسون بصوت مسموع

ما كان مني إلا أن أخفضت رأسي للأسفل

لكن لم أخفض رأسي

لم أخفض شرفي

و قدري

و مكانتي

لم

هم من أخطئوا و هربوا

تلك الخائنة و عشيقها

هم من هربوا

لم أنا من أدفع ثمن خطيئتهم في الدنيا

لم أنا

لماذا

ليس هاتان الفتاتان فقط بل البلدة كلها

آخذت هذا الموقف مني

ماذا فعلت

لا شيء

لماذا أدفع أنا الثمن

لا أعلم

لم يروننني على أساس بأنني ابنتها هي فقط

مع أن أبي الذي لا يعاني مما أعانيه

أنا ابنته

انظروا إليّ على هذا الأساس

.....

كان يتفادى كل من علي و كنزه أن يخبروننني بما يجول في البلدة عني

و مع ذلك أعلم

لم يبق لي أحد في هذه البلدة من أصدقاء طفولتي

سوى علي و كنزه

و البعض الذين بدءوا ينفروا مني شيئا فشيئا

واحدا تلو الآخر

هذا ما خفته طوال هذه السنون

و تجرأت و قدمت

و حدث ما حدث

لكن هذا مصيري

كنت سأواجهه عاجلا أم آجلا

لأنه لم يكن أبي ليوافق على أنهي جامعتي

و أبقى خارج مدينتي

.....

أصبحت مُدرسة في الاكمالية التي درست فيها

جميل أن يحقق أمنيته كما تخيلها و تمناها

و أبي الذي لم يتوقف للحظة عن دعمي و إرشادي

.

.

في إحدى الأيام الماطرة

خرجت من المدرسة متأخرة قليلا

و لأن أيام فصل الشتاء قصيرة فإن السماء تعتم و تظلم بسرعة

كانت الأرض زلقة قليلا بسبب مياه المطر التي أشبعت التراب

يا إلهي حذائي ابتل و امتلأ طين عند الحواف

" آي "

عند هذه اللحظة ظننت بأنني سأقع أسيرة الوحل

و يتحول حجابي من اللون الأزرق السماوي إلى أزرق يتخلله بقع الوحل العشوائية

و في ذات اللحظة أحسست بيدين تطوقان خصري

التفت لأبصر من هو

.. " مرحبا يا ابنة علياء"

كانت تنظر إلي بهلع .....

ربما من العبارة التي بترتها شفتي أو لأنها بدأت تدركني

أعلم بأنها عرفتني ، لم يطرق عليّ التحول العظيم الذي يجعلها تجهلني

كانت شفتاها تحاول نطق حرف الواو لكن الصوت لم يصدر من حنجرتها

هززت رأسي أؤكد لها استنتاجها

"... هذا أنا"

" تابعت ". وليد

اتسع فغر فاهها أكثر فأكثر وكان أقرب من الشهقة

ها ابنة علياء

أنت مثلها حتى في ملامح وجهك الفاتنة

.....

صعقت منه كيف تحول و تغير ... حتى هو انقلب ضدها ، لماذا وليد ، هل تسمم عقلك أنت أيضا ... .

هل أصبح مثل سكان هذه البلدة المتخلفة "قلت صارخة "

" أجابت كنزه بتوتر " لا أعلم ... أخبرني علي بأنه أصبح عصبي و لا يطيق أحد

" قلت مقاطعتها " بل أصبح مزعجا و لا يطاق

" دعك منه "

"كلا .....لماذا ناداني بتلك الطريقة ماذا فعلت له ..... أود أن أفهم الأمر "

. أخبرت كنزة بما حصل ، و كيف عاملني بتلك الطريقة البشعة

. . .

التقيت بالخطيبان في مقهى في المدينة . ... كانا يتحدثون عن الخطبة و الزفاف و المستقبل و ثم التـفوا إلى الماضي و تحدثنا عن طفولتنا

كما أن علي كان يتحدث عن وليد لأنه جزء من ذاكرة الطفولة

و هما أبناء العمومة

و مقربان من بعضهما بشدة على الرغم من أنه قال بأنه ابتعد عنه و عن ملاقاته قليلا و مال لأخواله و عائلته

نظرت لكنزه بإشارة استفهام

{... علي لم يتحدث عنه بهذه الطريقة ..... طريقة الود}

أعلمتني بأنها لم تخبره عن ذلك الموقف المقزز

صمتُ و أخذت أراقب علي و هو يتكلم عن ذلك الرجل الخارق في نظره

حتى اعترتني رغب في التثاؤب

لكنها حركة قليلة ذوق و أدب أن أقوم بها في وسط جماعة

لكن علي و كنزه ليسا بغريبان

كنت سأتجرأ و أقدم عليها

إلا أن قطع تفكيري اتصال لعلي

أخبرنا بأن وليد المتصل

الله الله كم أن عمره طويلة تحدثنا عنه فحضر

أخبره علي بأننا في مقهى و عزمه للقدوم

و كان هذا ما ينقص

قرصت كنزه

و أشرت بأنه كيف يعزمه

أشارت بعدم مبالاتها

إذن هكذا يا كنزه

سأريك لاحقا

قدم و حيانا

بما أن كنزه جالسة ملاصقة علي

فإنه أخذ كرسي و جلس تقريبا بقربي

لم أرمش طرفة عين اتجاهه أو حتى شاركته بكلمة واحدة

أخبرتني كنزه أن البعد ربما سبب الشرخ بينكما بل أرى بأنه غبي و يصدق كل ما يقال

.....

" عادت تلك المتسلطة كوالدتها الطماعة في ثروتنا و المقززة الحشرية الخائنة الغبية" ....

يا إلهي كانت تتحدث عنها بهوس

منذ أن عدت ، كأنه عاد رئيس الوزراء

".. تفادى التلاقي بابن عمك علي تفاديا باللقاء بها"

"... أها ... هذا ما ينقص أترينني أخافها أو أهتم لأمرها سألتقي به و لن أباليَ بها .."

" أفف ...أتعلم بأن والدك عمره ما كان بذلك السوء .لم يكن بدون سبب"

" أمي كلنا نعلم بأن أبي لم يحبك يوما "

كلا ..أمها سرقته مني و سوّت شرفنا بالأرض لذا ستأخذ انتقامي من تلك المرأة من ابنتها و... "
" ... بنفس الطريقة ... انزع شرفها منها و دعهم يعيشون العار بقدر ما عشناه من خزي

كنت أسمع كلام أمي عن تلك الفتاة بملل

و ضيق

كانت كل جملة من جهة أفكارها مخربطة و غير متجانسة

لقد كانت سهام تفعل أي شيء لتحول حب ابنها بداخله لابنة تلك الحقيرة لحقد و كره

و استطاعت إغواءه بكلماتها و كل يوم يتجرع منها القليل من الحقد

اتصلت بكنزه طالبا منها رقم وسام منها .....

.. إلا أنها رفضت و دافعت على نفسي بحجة أن نيتي الصلح

.....

.. جالسة في مكتبي في الصف حينما وصلني اتصال من رقم جديد .

" ألو "

" ... مرحبا .. هذا أنا وليد "

" باقتضاب " ماذا تريد ؟

.." أريد أن نصلح سوء التفاهم الذي بيننا " ..

" حقا سوء تفاهم ؟..... قبل ذلك من أين عثرت على رقمي "

طبعا من صديقه

تابعت" المهم .....دعني و شأني " و أقدمت على إنهاء المكالمة

" اا ، لا تفصلي الخط ..".

" ماذا ؟ " ..

" أنا أعتذر عما بدر مني يا ...."

" قاطعته " ابنة علياء ..... ألم تقلها ... قلها ثانية هيا ...

" قال بمزاح " لقد كنت آخذ جرعة مخدرات ..... لم أكن بوعيي ..هيا مشيها

بعد صمت طويل

" ألو..... أأنت بخير .."

" .... ها ."..

" هيا مرريها يا مُدرسة"

" أفف ..... اللقاء "...

".. وداعا" ..

.....

خرجت لتجدني انتظرها بسيارتي

" هيا اركبي" ..

" لا أستطيع .".

" لم "..

"... لأن أهل مدينتنا متخلفين و سيتحدثون علينا بالعاطل .."

أي عاطل

ما سمعتك مشوهة وحدها

.". لا تهتمي لهم ،، هيا" ..

" ....لا "

سارت متجاهلة نداءاتي

كدت أن أنفجر من حركتها تلك

و أردت أن أخرج في تلك اللحظة و أفتك بها

من هي حتى تتجاهله بتلك الطريقة

فتاة رخيصة سوقية

و لكن سأتحكم بأعصابي سأتحكم ... سرت قليلا بالسيارة و

"قلت " و حين أحضر كنزه ستركبين ؟

أومأت برأسها موافقة ثم أكملت طريقها

... كم يقتله ذلك التجاهل منها ..

حين التقينا من جديد

أقصد الرباعي القديم بحلة جديدة تسمى العمر

رأى الخطيبان الوفاق الذي أصبح بيني و بين وليد

عرض وليد فكرة أن يذهبوا إلى غابة كانوا في صغرهم يلعبون فيها

ذهبوا و تجولوا و المسرة على وجوههم ثم وصلوا إلى شجرة عملاقة بها بعض القصاصات ... ... الورقية منها الممزقة و القديمة التي تعود لأكثر من 6 سنوات

" قلت:" من أين سنصل لها

قال وليد " من قبل كنت تتسلقينها ..... أما الآن ؟؟

ثم التف إليّ لتلتقي أعيننا .. طال لقاء الأعين

ووقعا أسيرا اللحظة

" قلت و أنا أبعد ناظري عنه لأعلى الشجرة " لم أعد فتاة صغيرة يمكنها تسلق الشجرة

" أطلقت ضحكة "لقد كنا مثل القردة

" تابعت بحزن " و لكن أريد أن أقرأ بعض ما كتبنا

" قال علي " لدي فكرة

ثم اقترب من كنزه و حملها و أخذت تضحك ثم جعل رأسه بين فخذيها

" و قال " هيا اقطفي التفاح

ثم أخذت تمسك و قرأت الأولى

" و ضحكت " هذه سري

ثم أرتها لعلي وأخذا يضحكان

" قلت لها " ألسنا موجودين، هيا امسكي ورقة و سأقرها أنا .....حتى و إن لم تكن تخصني

أعطتني ورقة و قرأتها ***أريد أن أقتل والدي***

اكتشفت أنها لوليد بدون وعي رفعت نظراتي عن الورقة نحوه مباشرة

فيما هو رفع حاجبا متسائلا

" قلت بتوتر " لا شيء ، و كما اتفقنا لا يمكننا قول شيء ، أليس كذلك

ثم أخذت كنزه ورقة أخرى و أعطتها لوليد

.....

أحبك وليد لآخر نفس من أنفاسي

كاذبة

كاذبة لم تكوني سوى خادعة مثل أمك ثم وضعت الورقة في جيبي و أنا أضغط عليها

" قالت كنزة " خيرا

" قلت بابتسامة " كل خير

ثم أخذ علي يلعب مع كنزه على أساس أنه سيوقعها حتى قفزت نحوه وسام تقرصه

" أترك صديقتي "

و تداعبه و تضحك فيما أنا أشعر بالغيظ مما أرى

لا أعلم

و لكن تلك الفتاة تضع الكثير و الكثير من الحدود مع وليد فقط

.....

كل ما أتذكر تلك النزهة أكره نفسي ألف مرة

و تلك الفتاة

و الورقة التي جيبي

و حتى علي رغم أنني أعلم بأنه لا يبالي بها

و لكن هي لا أعلم خفاياها و نواياها

. لا أريدها أن تقرب من رجل و لا من أي رجل

قطع حبل أفكاري اتصال علي

أجبته بحدة

"ماذا ؟؟ "

" ما بك يا رجل "

" .... لا شيء "

" هيا تعال وجدت مكان رائع نذهب إليه "

" لا أريد "

" قال بدهشة " لا

" تابع بسعادة " ، هيا يا رجل أنا و كنزه و وسام ننتظرك هيا

وسام معك

وسام هناك

أغلقت الهاتف و أنا أردد اسمها

و شيء يدفعني على الذهاب رغم أنفي

وجدتهم ينتظروني عند الغابة

"قلت " إلى أين ؟

قالت التي جالسة تحت الشجرة ممسكة بغصن صغير تنقش على الأرض

" إلى البركة "

رفعت رأسها مبتسمة

" قلت لها " فكرة رائعة

ذهبنا نحو البركة التي كنا نهرب إليها في صغرنا من حر الصيف ....

كم كنت أحب أن أغوص بها و أخرج نفسي من همومي التي تعرف التزايد في هذا الوقت

كانت فكرة أن أقفز في البركة مستحيلة إلا حين

أمسك علي كنزه و حملها و جرى بها نحو البركة و هي تصرخ و تضحك و قفز بها في البركة لتصل قطرات الماء تداعب وجه وسام

" و هي تضحك " مجنونان

" قالت كنزه " بارد و منعش

" حقا "

" هيا تعالي "

أخذت تمشي بخطوات هادئة متجهة نحو صخرة مرتفعة و قفزت و

هي تصرخ

أخذت تسبح و تخرج رأسها مرتفعة معها قطرات الماء

لا أدري لم أتمالك نفسي و قادتني رجلي نحو البركة لأقفز نحوها مندفعا كالمجنون ثم رفعت رأسي لأراها تنظر إلي و هي تضحك

...

خرجت وعليها ابتسامة عريضة

و حجابها ملتصق بجسدها و يوضح ملامح شكله الجميل ورمت نفسها على العشب

و هي تأخذ أنفاسا عميقة " منعش ، رائع " ثم نظرت إلي

" و قالت " ما رأيك ؟

" لذيذ "

" بدأت تضحك " لذيذ ؟! أنت غريب

... بل أنت اللذيذة تبدين أنثى طازجة قابلة للافتراس

" هيا علي ، أخرجا ،أيها المجنونان "

تضحك و هي تناديه ليس هذا فقط تدفعه بيدها تقرصه تداعبه أما أنا لا شيء ، لاشيء عني

لا لا مستحيل كف عن جنونك وليد.

علي خطيب كنزه مستحيل أن تقرب منه وسام

لكن حتى أمها أخذت أبي من أمي و كانا أبي و أمها متزوجان

تفعلها إبنة علياء تفعلها و لن يطرف لها رمشه عين

حقيرة

.....

كان زفاف صديقتي يقترب و نحن نتسوق من أجله

لا أكذب الناس ينفرون أين ما رأوني و لكني عادي سأحاول أن لا أبالي بهم

و فيما نحن نضع أغراض و مشتريات كنزه في سيارة علي

رأيته جالسا في سيارته و ينظر نحونا

ابتسمت له و هممت بالركوب إلا أننا سمعنا وليد يزمر نحونا و أشار نحوي

" قلت" حسنا اذهبوا أنتم سأذهب وحدي للبيت

" خطوت حتى وصلت إليه أطللت من النافذة "خيرا

" اركبي"

ترددت ثم دخلت ما إن دخلت حتى شغل المحرك و ذهبنا

حركت رجلي حتى أحسست بأنني ضربت شيء

كانت قنينة خضراء

حملتها و

قلت " ما هذا يا وليد ؟؟" أخذها مني و رماها للخارج و تحطمت

"قلت " ما بك .. هل أصبحت تشرب الخمر ؟

" ها .. ألا يعجبك الأمر "

" ماذا .....هل أصبحت سكير"

" تقريبا "

" ماذا ...أوقف السيارة ....وليد أوقفها "

زاد سرعة السيارة و أخذني نحو مكان بعيد عن الناس و أوقف السيارة بجنون و الغبار يرتفع نحو الأعلى

" ثم خرجت " ما بك هل جننت؟

" قريبا "

" ماذا تريد مني"

" بأي حق تركبين مع علي ؟"

" ... و أنت ما شأنك .... أصلا أنا ذاهبة مع كنزه "

تابعت بضيق "آه .....لماذا أبرر لك بأي حق أنت تسألني ؟

" وسااااام "

" مابها وسام ؟ ماذا تريد منها وساام"

" لا تصرخي في وجهي"

" أنت الذي تصرخ .... هيا أعدني إلى البيت . هيا "

توجهت نحو السيارة و ركبت من الوراء ثم جاء و أدار المحرك و عدنا

دخلت إلى البيت لأجد تلك الملعونة زوجة أبي ،

" أين كنت"

"و ما شأنك أنت

"أراك هذه الأيام خارجة داخلة ....أين تذهبين"

" لا دخل لك في يا وضيعة "

ثم ذهبت و أطلقت العنان لدموعي لماذا يا ربي

ماذا فعلت

لماذا ينهرني بتلك الطريقة

لماذا يا وليد

" دخلت للبيت لأجد أمي "ما بك وليد ....

" لاشيء "

" إذا لم أنت هكذا"

" كيف؟ كيف ؟ ما بي ؟لاشيء .....اتركوني "

" ماذا أنسيت ذلك الأمر ؟"

"أي أمر"

" وسام"

" ما بها ؟ "

" ألن تأخذ بثأرنا ؟"

" لا ليس بعد ..إنه يلعب الأمر بعقلي سأريها ستدفع ثمنها و ثمن والدتها غاليا "

.....

لم يبقى لزفاف علي و كنزه إلا أسبوعان و تلح علي باتصالاتها صرعتني

"... آآآه لم أجهز شيء .. ألحقيني "

". دعيني و شأني "

" ماذا أدعك و شأنك "

" حسنا .. اهدئي ...سيمر كل شيء على ما يرام "

اتصل بي وليد يعتذر عما بدر منه ، و قلت بأنني موافقة على اعتذاره لكن ما لا أفهمه هل حقا ... . أصبح سكيرا ، لكني لم أناقشه في الأمر ، ليفعل ما يشاء لا يهمني

منذ فترة يلاحظ مصطفى والد وسام أن زوجته في كل شهر في 4 منه تأتي و تطلب منه مبلغ يقدر بـ 2000 د و تذهب و لا تعود حتى 5 مساءا ، لكن هو لا يشك بأي شيء اتجاهها و هو متأكد من صدقها معه

هي ليست مثل تلك المرحلة

كانت عكسها تماما

و كانت دائما ما تبين له مدى شناعتها و خداعها

.....

كنت جالس في مكتبي أحمل صورة تحملني أنا و علياء و ابنتنا و دموعي تنزل قهرا و ندما على . ثقتي كل تلك الثقة بها

. لم تكن تستحقها كل تلك الثقة لم تكن

فجأة دخلت هيفاء و أسرعت في تخبئي الصورة و مسحت دموعي و .

" قالت " ما بك عزيزي ؟

"ثم اقتربت مني و أحاطت رقبتي بيديها و أخذت تتكلم بدلال " ما به حبيبي ؟

" أبعدت يديها " لا شيء

.....

يومان قبل الزفاف التقى الرباعي الفريد و أخذت تندب كنزة " علي لنلغي الزفاف ....لم أحضّر " أي شيء... ووسام لا تساعدني

" دفع علي وسام بكتفه وقال " لم لا تساعدين حبيبتي .. ها .. قولي

" و هي تضحك " ماذا أفعل لها .... إنها مزعجة

حقا ... إنها عزيزتي لا يحق لكي أن تقولي عنها هكذا " و ضربها لرجلها بقدمه "

" هاي ... أفعل ما أريد و إن شئت لا أساعدها ... يعني ..لا أساعدها "

.... رفعت نظراتي لتلتقي بذلك الذي يبدو عليه الغضب الشديد

ما مشكلة هذا المغرور دائما يشيط هكذا كأن أحد تركه داخل قدر فوق موقد مشتعل و يحترق هو بداخله .

قال " سأذهب أنا لدي عمل ... المعذرة" و خرج بتوتر حتى جرجر معه الكرسي الذي كان جالس عليه

ثم قال بتوتر" آسف "و ذهب و هو يجري قفزا درج المطعم

نظرت إليهما نظرات التساؤل " ما به ... هل جن ؟" و انفجرنا أنا و كنزه ضحكا

" قال علي " هاي إنه ابن عمي .. توقفا

" قلت " حقا .... إنه ليس إبن عمك .. تماما ... بل والده ابن عم والدك

" المهم ... أنا أعتبره كذلك "

.....

حقيرة لا أريد أن أتواجد معها في نفس المكان

هل نسيت الماضي بكل هذه السهولة بهذه البساطة هل نسيت كل ما كان بيننا ...

ركبت السيارة و أمسكت قنينة الخمر و أخذت أشرب و أنا أسوق و أشرب و أشرب

..... سألتني لماذا أشرب لماذا

. أنت السبب .. أنت السبب ... بسببك ... بت أكره نفسي و كل شيء .

، جالسة أمام المرآة أعدل من خماري كان باللون الأزرق الليلي .....

تزينت اليوم على غير العادة وضعت كحل لعينيّ و أحمر قان للشفتين و كنت مرتدية فستان بنفس لون خماري طويل يحدد معالم جسدي و بدون كمين رميت حجابي من فوقه ...

أتذكر اليوم الذي عزمتنا فيه كنزه للزفاف كما أن والدها عزم والدي أبي لم يرد الذهاب تفاديا للتلاقي بعائلة *ألسلام*ي أي عائلة وليد

لكنه تركني أذهب و حذرني من الاختلاط بهم رغم محاولات هيفاء بتحريض أبي ضدي بأن يمنعني من الذهاب

إلا أن أبي يحبني و يلبي لي كل طلباتي

، وجدت العروس بفستانها و السعادة تملأها ....

و طلبت مني نزع حجابي

" لفي كي أراكي .... إنك جميلة .. هيا انزعي حجابك و أخرجي هكذا .. هيا "

" كلا ... أخجل "

" هيا لن ينظر إليك أحد ... نحن في زفاف .. هيا "

" لا لا لا ... لا تضغطي عليّ "

" حسنا ارمي حجابك عليك فقط..... و خمارك لا لا "

أووف حسنا " وضعت خماري على كتفي فيما حجابي كي يغط يدي العاريتين "

كنت جالسا في إحدى طاولات الحفل حينها خرج العريسان و الابتسامة تملأ وجوههم ، لكن ما ... شدني تلك التي كانت ممسكة بذيل فستان العروس

. كانت وسام و شعرها الأسود القصير الملتف و على وجهها ابتسامة عريضة

تقدمت أهنئ العريسان وسلمت على وسام....

" مرحبا"

" أهلا "

" كيف حالك "

" الحمد لله .. آمال أن تكون أنت كذلك "

" الحمد لله "

بدأت الموسيقى ترتفع و علي يغازل كنزه التي كانت تضحك و الأخرى وسام تضحك عليهما

" علي ما بك ... ألا تنتظر و تقبلها في بيتكما "

" لا أستطيع الانتظار ... أحبها "

" اصبر اصبر لن تهرب "

. كلما تضحك معه شيء ما يغلي داخلي

لا أستطيع ان أراها تتحاور مع أحد بهذه الطريقة و أنا تضع الحدود معي ..

. و اللقاءات بيننا رسمية و جد رسمية

مللت و ضجرت من الجلوس كالأبله ، خرجت و أخذت قنينة خمر من سيارتي و أخذت أشرب و أتجول و أتمنى أن أمحي تلك الفتاة من الوجود

كنت مع العريسان حينما وصلتني رسالة على هاتفي ، كانت من وليد .....

" *أريد أن أتكلم معك هلا جئت .... أنا خلف الحديقة* "

خرجت عازمة أن ألتقي به ، لكن ماذا يفعل هناك ...

... الكل في الحديقة حيث أقيم الزفاف

خطوت خطوات ووصلت إليه كان جالسا أمام غرفة مهجورة

" مرحبا وليد "

مرحبا " رفع رأسه إلي و أخذ ينظر إليّ بطريقة غير عادية "

" خيرا هل تحتاج لشيء "

كنت ثملا للغاية و في قلبي قهرا كبير .....

" نعم "

" بتردد أجابت" أأأ ... إذن ما هو

" أنت "

أنا؟. "رأيت معالم الحيرة والتساؤل على وجهها أهي حقا لا تعرف أو تدعي الجهل "

"وليد ... ماذا تشرب ؟؟ "

".. تابعت " هل أنت ثمل ؟؟

كيف أصبحت تشرب الخمر "بحزن .."

اعترتني رغبة في أن أخرج كل ما يعترني منذ مدة

ما أخبئه من الماضي

و الذي زاد بعد عودتها

أنت السبب ... ألا تعرفين ... أو تدعين ... ذلك " قلت ذلك و أنا أصرخ "

" لماذا تفعلين هذا بي لماذا .... هيا قولي "

"أأأ.....ولبد "

"انظرني كيف أصبحت بسببك.....كل هذا .بسببك ؟؟ "

" سأذهب .....سـ...سنتكلم حينما تهدأ و تعود لوعيك "

و أعطتني ظهرها عازمة على الذهاب

قمت و أمسكتها من ذراعها التفت إلي و هي تنظر إلي بحيرة

أما أنا فلمعت في بالي ألف فكرة

ستأخذ انتقامي من تلك المرأة من ابنتها " كاذبة لم تكوني سوى خادعة مثل أمك "تضع الكثير و الكثير من الحدود مع وليد فقط "

بدأت أتذكر كل المرات التي تجاهلتني فيها كيف تقترب من علي و كلام أمي

كان رأسي سينفجر من كل الأفكار التي تراودني

كل هذه الأمور كانت تضغط عليّ منذ فترة

أمسكتها من يدها بعنف و فتحت باب الغرفة التي أمامي و دفعتها داخلها

.....

كنت على الأرض بعدما سقطت من تلك الدفعة التي دفعني إياها وليد

المكان مظلم و مملوء غبار و وضوء خفيف يتسلل من نافذة محطمة

تسمح لي بأن أرى ذلك الرجل

كان يلهث كالمجنون أمامي و عينيه الحمراوين تحدقان فيّ

" قمت و أنا أقول " وليد .. مابك . هل جننت

" صرخ " ها جننت .....بسببك ... يا حقيرة

توجهت للباب عازمة على الذهاب ، أمسكني من يدي و أطبق عليها بقوة

" إلى أين ... لن تخرجي من هنا إلا بعد أن آخذ منك ما أريد "

ماذا تريد مني .... دعني أذهب " قلت ذلك و أنا أحاول التنصل من يده "

انسي الأمر " قال ذلك ثم أمسكني بيده من كتفي "

في تلك اللحظة حاولت التنصل من الفولاذ الذي يقيدني

ثم دفن رأسه بقوة في رقبتي و أخذ يقبلني بقوة و أنا أصرخ

لا أدري من هذا الشخص الذي يحاول انتهاكي

مستحيل أن يكون هو

أبعد يديه عن كتفي و نزع الخمار الذي كان مرميا على رأسي

و أمسك وجهي و أخذ يطبع قبلاته على خدي و أنا أصرخ

" أرجوك أتركني .. أرجوك "

" آآه .. أرجوك .... ابتعد عني "

اشتقت إليك ... لن أسمح لك بالابتعاد عني " كان يلهث وهو يهمس بتلك الكلمات "

ما إن فهمت نواياه زدت من مقاومتي إياه

" صرخ " توقفي

و أعطاني صفعة جعلتني أسقط أرضا

ثم ضربت رأسي بشيء و فقدت وعيي

أصبح انتقام منها على بعد لحظات .....

كان مغشيا عليها

لم تكوني تعيش لحظة انتقامي منك

من أجل قلبي

الذي دهست عليه منذ سنوات

و فعلت ما أريده

لتفقد على يديّ أعز ما تملك

ربما قد تكون بضع قطرات دم بالنسبة لي

لكن هي تسميها شرف

أعلم أنك فتاة شريفة

لأنك لا تزالين محافظة على نفسك

قبل هذا

لكن عينيّ

أصبحت تراك المثل الأول لأمك

....

بدأت أعود إلى وعيي ، لأفتح عيني على مرأى سقف تملأه الغبار و شبكات عنكبوتيه

وضعت يدي على رأسي و أنا أتأوه

و أنا أرفع جسدي للأعلى حينها رأيت قطرات من الدماء على الأرض و البعض على فستاني

ضممت رجلي إلى صدري و أخذت أبكي و أنا أتذكر بعض ما حدث

كان مصطفى جالسا في مكتبه و ابنته خارج البيت ، يبدو أنها قررت التأخر بسبب الاحتفال .....
مع أنها وعدته بأنها ستعود قبل منتصف الليل و ها قد حل الصباح ، أين هي يا ترى

نزل للحديقة يشرب قهوته برخاء تام ثم رأى الباب يفتح لتدخل ابنته

مرحبا ابنتي .. تأخرت قليلا " قال ذلك و هو يبتسم "

مرحبا " قالتها ببرود و خوف تخفيه "

واصلت طريقها عازمة للدخول للبيت ، قبل أن تدخل التفتت إلي و بدأت دموعها بالنزول

" بابا "

"ابنتي ؟؟ "

لتسقط مغشيا عليها

.....

فتحت عيني لأرى أبي ممسكا بي ويقول

"حبيبتي ... ما بك ... أخبريني ؟؟ "

كنت أصرخ و أبكي

ضمني أبي إلى صدره أمسكته و تشبثت به

" ... يا حبيبتي .... أخبريني قلبي سيتوقف "

آآه " أطلقت تلك الآهة من صدري بصعوبة "

رميت بثقل جسدي على سريري ....

... ماذا بعد ... اغتصبتها و أخذت بانتقام أمك

..... عن أي انتقام تتكلم لم آخذ انتقام أمي منها..... أعلم أن أمي مخطئة في حقها

لم أفعل ذلك إلا لنفسي ، لنفسي فقط ... لأرضي جوعي المتعطش إليها ... و لآخذ انتقامي أنا منها انتقامي على كل تجاهل بدر منها اتجاهي و عن كل شخص اقتربت منه أمام عينيّ أو خلفي.....

لا أعلم ماذا سيحدث الآن

و لا أريد أن أفكر

كل ما أعلمه أني تركتها في تلك الغرفة المهجورة

.....

" سأذهب لأقتله .... سأقتله .... أقتله "

" أبي .... أرجوك لا تبتعد عني ... أنا خائفة "

" يا ابنتي دعيني أذهب أأخذ حقك منه "

" أبي أرجوك .ابق معي "

قالها بحزن عارم " ابنتي " لم يستطع أن يتركها في تلك الحالة

كانت في غرفتها ربت على شعرها و هو يفكر في العجز الذي يعيشه

.....

" لماذا تقتل الشاب ... أليست ابنتك هي من تأخرت .... و أرسلتها وحدها إلى هناك "

" تابعت هيفاء " أصلا .... أنت ما أدراك بأن ابنتك لم تسلم نفسها له

" كيف تقولين هذا هيفاء ... إنها ابنتي و أنا أثق فيها "

" أنا لا أقول هذا بدون سبب "

"ماذا تقصدين ؟ "

كانت سهام { أم وليد } و هيفاء راكبتين في السيارة

"قالت سهام " ها ..... أتعلمين ماذا أخبرني عدنان عنك ؟

".... عدنان ؟..... أأأ ما علاقة عدنان بي حتى يخبرك شيء عني "

"... بلا ....أخبرني عن .....علاقتك الغرامية به المقززة ".

ضحكت " إذا فأنت تشبهين علياء ..... مسكين مصطفى يتلقى الخيانة مرتين .... تؤتؤتؤ كم حظه سيء مع النساء "

"....من الأخير أ ذلك ".

" صمتت قليلا "أووف .... أأخبرك هو

" أرأيت لم يكن ليفيدك الإنكار .... و اعترفت بسهولة ..... أووه جيد "

" إذن ... من الأخير ماذا تريدين ؟؟ "

"... أتعلمين..... رأيت أن في تحالفنا فريق لا مثيل له "

" ... حقا؟ ..أففففف "

أريدك أن تشوهي صورة وسام أمام مصطفى على أن تكون مغموسة صورتها المشوهة مع ابني وليد "

" ألا تخافين من أن يفعل مصطفى شيئا لابنك "

" لن يفعل ... و لن يجرؤ حتى.. وأنت افعلي ما أخبرتك و الباقي عليّ "

فاقت هيفاء من شرودها

"ماذا تقصدين ؟ "

ابنتك رأيتها تلتقي بصديقتها و خطيبها و أنت تعلم بأن علي و وليد يقربان بعضهما و بهذه الحجة كانا يلتقيان "

"صرخ مكررا" ماذا تقصدين ؟

ليس هذا فقط ... مرة رأيتها نازلة من سيارته و كانت عينيها مملوءة بالدموع و حين سألتها قالت عني بأني وضيعة لذا انسحبت عن طريقها "

، أسرع مصطفى في خطواته لغرفة ابنته

مستحيل أن تفعل ذلك

مستحيل أن تتخلى عن شرفها

عندما دخل وجدها مرتدية حجابها ساجدة على السجادة ممسكة بالمصحف في يدها و هي تبكي

عندما رآها لم يتمالك نفسه وبدأت دموعه تنزل رغم عنه

" ابنتي "

" التفتت له و قالت " بابا

و اقتربت منه و ضمته

مسح على رأسها

" طلب منها بخفوت" أريد أن أسألك سؤال

" ها .....تفضل "

" هل كنت على تواصل بذلك الحقير من قبل "

كان خائفا من أن تنفي

من أن تنكر ذلك

فهذا يضر بعفافها

" زادت دموعها " نعم .... لكني

" أخذت نفسا عميقا " لقد كان يعاملني بطريقة حسنة

" و أنت ما قربك منه ألا تعلمين بأنهم سيضمرون لنا الشر بعد ما حدث "

" أبي .....خدعني كان مضمر لي الشر و بين لي غير ذلك "

.....

"أتعلمين ماذا فعل ابنك ؟؟"

"وليدّ؟.....ماذا فعل ؟؟ "

" لا أدري كيف نجحت خطتك ..... لكن المهم ..... ابنك اغتصب وسام "

"... حقا .... متى "

كانت تتحدث و لهفة السعادة تملأها فقد نجحت خطتها

و حسب ما خططت

"يوم الزفاف ... أي قبل يومين .... ماذا ستفعلين ..... الأب يريد قتل المغتصب "

" ... لا تفكري في الأمر "

و الآن الباقي عليها أن تنجح باقي الخطة

.....

منذ ذلك اليوم ، و أنا أكاد أنفجر

وسااام ، ماذا تفعلين الآن يا ترى

هل ستموتين قهرا مما فعلت

هل دهشت كيف أصبحت

كل شيء تغير بداخلي

أصبحت مختمر ، زاني ، مغتصب

كل شيء غيرته

إلا شيء واحد لم يتغير في كياني

و لا أدري إن كان يعني لك

حينها دخلت أمي

"ابني ماذا فعلت يوم زفاف ابن عمك ؟ "

"بحيرة " ماذا تعرفين ؟

"هل حقا أنك ؟ "

"رد بثبات " ها .... قلت لي انزع شرفها و ها قد نزعته ؟

" ابني .... لا تهتم لأمرهم .... وإذا جاء والدها أخبره أنها هي من سلمت نفسها إليك "

" لا لا لا ... لم نتفق على هذا ...أنا فعلت ذلك ليس لأستره .... نعم اغتصبتها "

" واصلت " و لست خائفا من أحد

و خرجت من الغرفة

.....

حكت كل شيء لأبيها مذ اللقاء الأول إلى أبشعه

وصدقها لأنها ابنته و روحه

هو من رباها كل تلك السنين التي تخلت عنها الخائنة أمها

هو أصبح كل شيء في حياتها

كبرها و علمها

و جعل منها فتاة طهورة شريفة

خفت أن يذهب و يفعل لذلك الحقير شيء و يدخل السجن و أبقى وحدي . ...

أبقى وحيدة في هذا العالم

الذي لن يرحمني بعد ما حدث

كان كل ليلة أبي يأتي إلي و أبقى أبكي في حضنه إلى أن أخلد للنوم

حتى الآن لا خبر .....

سأجن أين تلك الفتاة ، كما أنني أتجول عادي في المدينة لا كلام و لا بلبلة

فقد شهدت من قبل عن علاقة أبي بتلك الفاجرة

انتشر الخبر في لحظات

أما الآن لا أحد يعلم به

دخلت للبيت بسرعة أبحث عن أمي

"من أين عرفت بأنني اغتصبت وسام ؟ "

" تابعت "لا أحد يعلم و الناس لا تنمم في الموضوع كعادتها

" ابني ما يهمك في الأمر.... و هل كنت عازما أن لا تخبرني "

" أميي ... من أين "

قطع علو صوتي

صوت صراخ في الخارج

ما هذا وليد "قالت أمي بحيرة "

"لا أعلم .. من هذا الذي يصرخ هكذا ؟ "

كنا نقترب من البوابة و صوت الصراخ يعلو صدحا باسمي

" أيها الحقير ... وليد ... اخرج يا شبيه أبيك "

كان والد وسام يصرخ

باسمي

و ينعتني بأقبح الألقاب

ما إن دنوت و رآني

" تعال أيها النذل لأفصل عظامك عن لحمك "

كان الحرس يمنعونه من الدخول و هو يتصارع معهم

أومأت لهم بأن يدعوه

" أمي قالت "هل جننت لتدعه يدخل

اقترب مني أكثر و أكثر

كنت أنظر إليه

إلى عينيه بتحد

" كيف تجرأ على النظر إلي بهذه الطريقة أيها الوضيع "

" ما الذي أتى بك بعد كل هذا الوقت "

أتيت لأنظف شرفي " في لحظة كالبرق أخرج مسدسه و وجهه لرأسي "

" أمي صرخت " ابني

" هيا اضغط على الزناد "

" أتتحداني "

" ما الذي أتى بك الآن ؟..... مر على اغتصاب ابنتك تقريبا أسبوعان "

" أتى بي الطفل الذي تحمله في أحشائها "

صعقت

دهشت

ماذا

وسام حامل

.....

" أنظري ماذا فعلت يا عاهرة ؟ ..... هل تعلمين إن قتله مصطفى سيدخل السجن "

" أرجوك اذهبي أوقفيه ... أبي ..... أبي . ... لا تفعلها "

" والدك أخذ مسدسه و خرج "

كنت جالسة في غرفتي مع أبي فقد كان معظم الوقت يقضيه معي

إلى أن شعرت برغبة في التقيؤ

جريت نحو الحمام

" استفرغت كل ما في معدتي و أبي ينظر إلي " حبيبتي هل أنت بخير ؟

سرت نحوه قليلا

ثم إذا برجلي لا تحملاني و سقطت مغشيا علي

فتحت عينيّ في المستشفى لأجد الطبيبة إحدى صديقاتي تنظر إلي بتوتر

"*قلت " رحاب ... خيرا ؟؟*

نظرت للوراء ثم إلي

" قالت " وسام .... أنت حامل

.....

سأعطيك حلا أفضلا من أن تقتلني ..... لأنك تعلم حتى لو قتلتني الفضيحة نلتها يعني نلتها و لن " يتغير شيء "

" ابني ... لا تقلق سأتصل بالشرطة في لحظات "

" أو تظنين بأنني سأخاف من الشرطة أقتله في لحظات و أدخل السجن هنيئا مطمئن البال "

" قالت بخوف " ابني

" أمي اصمتي .....هل تريد أن تعرف ما هو الحل أم لا "

" ما هو يا وضيع ؟ "

" أتزوج ابنتك "

"ماذا ؟ "

" ماذا؟ ..... تتزوج ابنته ... لا لا ابني مستحيل ؟ "

.....

" أبي ..... أرجوك ... لا أريد أن أتزوجه"

" اخرسي ..... بسببك كاد والدك يقتله و يدخل السجن ..... لذا فهذا أفضل حل "

".. بابا أرجوك "

" ابنتي لا يوجد حل آخر ..... كيف سنعيش هنا ..... مذلولين ؟؟ "

" آسفة ..... آسفة ... يا أبي ..... لم أكن لأرضى أن تعيش مذلولا و أنا حية "

خرج أبي من الغرفة

و تركني مع تلك التي تقابلني وتنظر إلي باحتقار

" أنت سبب كل هذا ..... و أنت من ستحليه "

و خرجت

هل انتهى كل شيء ؟

هل سأتزوجه ؟

سأتزوج ممن فتك بي

يا إلهي ساعدني

كنت جالسا في غرفتي غارقا بين أفكاري ، حينها دخلت أمي .....

"ماذا تظن نفسك فاعلا؟ "

"و أنت ما دخلك ؟ "

" بلا ... دخلني ..... لن تتزوج من تلك الساقطة ..... أفهمت ؟ "

" حقا ؟..... سأتزوجها و لن تمنعني قوة من على الأرض من أن أفعل ذلك "

" لقد أخذت عقلك يا ولد ..... منذ أن كنت صغيرا إلى الآن "

" آخذت عقلي و لن يعود إلا و هي معي .... سأتزوجها ضعي هذا الأمر في رأسك "

خرجت من البيت و غضب عارم يكسوني

عندها التقيت بعلي و معالم الهلع تكسوه .....

" ما أنت بفاعل ؟ "

تجاهلته و واصلت طريقي

" أمسكني من ذراعي " هل صحيح ما يقال ؟

التفت إليه و رمقته بنظرات حادة

" هل حقا فعلتها ؟ "

" صرخت" هاّ..... فعلتها

ثم أمسكني و ضربني لوجهي مما جعل الدماء تنزف من أنفي أمسكته و سددت لوجهه ضربة و تلتها أخرى و أخرى

ولم نتوقف إلا بعد ما أنهكنا التعب

و سقطنا أرضا جنبا لجنب

" قال بتعب" لماذا فعلتها ؟

"كانت الطريقة الوحيدة ؟ "

"الطريقة لأي شيء .. لتكسرها ؟؟ "

" لا ..... لتكون لي "

لتكون ملكي

و أمام ناظري كل لحظة

كل ثانية

أمامي و ملكي

وحدي

.....

جهزي نفسك غدا سيعقد قرانكما

قراني بذلك الوغد

يا ليتني أموت قبل يحل الغد

من ذلك الشخص الذي فعل بي هذا ؟

لا يمكن أن يكون

من كان ماضيا كل شيء بالنسبة إلي

آآآه دمرتني

كنت جالسا في السيارة أنتظر أن يأتي والدها و هي .....

هي فقط لا أريد غيرها أريدها أن تكون لي

رأيتهما قادمان من خلال المرآة العاكسة للسيارة

جلست من الوراء ثم جاء والده و ركب أمامي كنت أنظر من المرآة كانت دموعها ملآ خديها

هل تتألمين ، هل تذوقين القليل مم ذقته كل هذه السنين التي تركتني فيها و حين عدت زادت آلامي

لكن لا أريدك أن تتألمي ، أريدك أن تكوني معي

تكوني معي و لي

.....

" ابنتي هل أنت موافقة على أن يكون وليد *ألسلام*ي زوجا لك "

عضضت على شفتي السفلى و الدموع تسيل على خدي

أومأت برأسي موافقة

لكنه إذا بالشيخ ينادي مرة أخرى كأنه لم يرى إيمائي بالموافقة

"ابنتي "

رفعت رأسي لأرى ذلك الحقير ينظر إلي

" خفضت رأسي " موافقة

و انتهى الأمر كله بموافقته و توقيعنا على عقد الزواج البائس

.....

كانت تبكي في أحضان والده بشدة

لكن ما إن التفت حتى نظرت نحوي

و تحول وجهها من الباكي للعبوس و مسحت دموعها بحدة

و مشت بخطواتها لسيارتي و ركبت في الوراء

فيما والدها رأته يدخل لبيته

لم آخذها إلى بيتنا حيث أمي و منزلي العادي ، لأني لا أريدها أن تلتقي بأمي التي تركتها تشيط غضبا

كان لدي منزل آخر أهرب حين تضيق بي الدنيا يقع نهاية المدينة أخذتها إليه

و كذلك أريدها أن تكون بعيدة عن الكون كله

توقفت السيارة .....

لم أرفع رأسي و بقيت متكئة على المقعد ، ثم إذا بطرقات خفيفة على نافذة السيارة رفعت رأسي إذا به ينتظرني ، تجاهلته و عدت إلى أفكاري البائسة ، حتى فتح الباب و

" قال بحدة " هيا

.....

أنى لها بالتحرك هذه الفتاة

أمسكتها من ذراعها و جررتها للبيت

" قلت و أنا أخرجها من السيارة " لن نبقى اليوم كله داخل السيارة .... هيا

فتحت الباب و أدخلتها و أبعدت يدي عن ذراعها بحدة

" أطلقت آهة صغيرة " آآآه

يبدو أن التعامل مع هذه الفتاة سيكون صعبا

كانت تنظر إلي بعينيها الثاقبتين

"قالت" ماذا تريد مني ؟

" اقتربت من تلك الواقفة و عيناها تكاد تخرج من جفنيها " ألم أخبرك من قبل ؟

" لم تتراجع خطوة واحدة " أنت أحقر رجل في الكون كله

أمسكت بفكها السفلي و قلت بعجرفة " لا أريد أن أعاملك بالحقارة التي تتكلمين عنها ..... لذا حسني كلامك "

أبعدت فكها بحدة

" أوليتها ظهري و قلت " لا تدعيني أغير أسلوب القول للفعل

" ماذا؟؟ ستضربني ..... لا تنسى أنني حامل "

التفت إليها ثم تابعت " لكن إن كنت تريد قتلنا نحن الاثنين .... أنا و الطفل الذي في أحشائي.. " حينها افعلها

" أنا لم أنسى أنك حامل لذا اصمتي و لا تجرديني من عقلي "

اقتربت منها أكثر و أخذت أحدق بها بشدة علّها تخرس

إلا أنها قذفتني ببصاقها

مسحته بظهر يدي

و أمسكته من شعر ها المغطى بخمارها

" و صرخت بها " وسااام .....إياك ثم إياك أن تفعليها ثانيه ... لا تفقديني صوابي

" أفلت شعرها "غبية

.....

" لا لا يا علي ..... لم أكن أعلم أن ابن عمك أصبح بهذه الحقارة "

تعرفين أنه لم يكن ليقبل والدها بتزويجها بالطريقة العادية بسبب الخلاف بين العائلتين لذا كان " " ذلك الحل الوحيد ليتزوجها

" علي لا تدافع عليه ..... مهما قلت لن تستطيع تبرير فعلته الشنيعة "

تابعت كنزة " ماذا عن رأي وسام ..... هل هي موافقة .... ماذا عن رغبتها هي ... هل كانت تريده " أم لا

" انتهى كل شيء ..... ها .... الآن هي حامل منه "

" لو أراه أمامي سأقتله ..... سأقتله .... وضيع "

" نزلت دموعها " الفتاة اغتصب الحقير فرحتها ....و روحها ..... و جسدها ..... اللعنة عليه

.....

" أ هذا هو الأمر الذي قلتي لي أن أتركه لكي ..... أن يتزوج ابنك من وسام "

" اخرسي .... لم تكن خطتي كذلك ..... بل كانت أن تخرجوا من المدينة "

" ها ..... أعلم "

تابعت " ألا تستطيعين التحكم في ابنك .....تؤتؤ ..... هل يزال يحبها ..... حين كان صغيرا كان يجري وراءها أينما ذهبت و الآن لا يزال يريدها "

" اخرسي "

ثم أغلقت الخط

ذهبت لمكتب مصطفى حيث كان جالسا يحتضن صورة ابنته و هي صغيرة

" هيا .... لا تحزن عزيزي ..... ذهبت لبيتها .... وبإذن الله ستكون سعيدة "

أية سعادة ..... ذهبت ابنتي لتعيش مع مغتصبها..... كيف ستكون سعيدة و هي كانت تبكي و ترجوني كي لا أزوجها منه "

" ابنتك لو حافظت على نفسها ... لما حدث لها هذا "

" ابنتي خدعت ..... أخبرتني بأنها خدعها .. كان يريها خيرا و هو يضمر لها شرا "

كنت جالسا في غرفة الاستقبال أنفث الدخان من صدري .....

فيما هي كانت نائمة في غرفتها على ما يبدو

لا أريد أن أقترب منها و أرعبها

أنا لا أضمر لها شرا

كما يظنوا

كل ما في الأمر أنني أحبها و أريدها أن تكون معي

فتحت باب غرفتها لأطمئن عليها

كانت مستلقية على السرير

متوسدة يدها و عينيها مغمضتين

"*بحزن " وليد أتعلم ماذا سمعت ؟*

"*ماذا ؟* "

"*أمي هل هي حقا تخون أبي مع أباك ؟* "

" أنا أيضا سمعت بالكلام .أأأ.... لكن ربما يكون كذبا "

بدأت دموعها تـــــــــنزل " لا بل صحيح ..... أمي معظم وقتها خارج البيت ..و تغيب عنا كثيرا .....و. قد لا أعلم ما نوع العلاقة التي أصبحت بين أبي و أمي لكني أعلم بأن أمي تغير شيء عظيم داخلها "

".. حسنا ..... أبي أيضا لا يعود للبيت ..... و يشتم أمي و يتشاجران دائما و علاقتهما جد متوترة "

" ..... تابعت"... لكن لا تهتمي أنا معك مهما حدث

" حقا .... ستكون معي ؟؟ "

" طبعا .... لكن عديني بأنك لن تتركيني "

"ها ... أعدك "

أين ذهب وعدك لقد أخلفت به

قد أبدو سخيفا شاب في عمره 26 سنة لا يزال يتشبث بماض

وبحب طفولة عفا عليه الزمان

جالسة في تلك الغرفة وحيدة .....

لا أدري ماذا أفعل معدتي تقرصني من الجوع

هل سأبقى هذا

هل أخرج و أبحث عن شيء يسكت جوعي

إن لم أسأل على نفسي ماذا عن الطفل الذي بطني

ماذا ذنبه هل سأكرهه لأنه منه

لأنه منه هو فقط

لا لا لست بالجاهلة لأظلمه

إنه ابني أنا أيضا

خرجت أتجول في المدينة و.....

حينها مررت ببائع العطور

" مرحبا سيد مصطفى "

" مرحبا "

تفضل هذا العطر اشترته زوجته ..... لكنها حين جاءت المرة السابقة كانت الكمية قد نفذت .."
" لهذا هل لك أن تعطيها

" . حسنا "

" هل تعلم أنها دائما ما تشتري هذا العطر ..... أنت محظوظ بزوجتك "

" شكر ا "

عطر

لمْ تشتري هيفاء عطرا لي

لمن تشتريه يا ترى

.....

نائمة بين أحضانه

كأي موعد يتكرر كل الرابع من الشهر

" عدنان يمكنك و لمرة واحدة أن تشتري عطر"

" لا لن أشتري كما أنه لا يهمني "

تريد مصطفى أن يكتشف أمرنا ..... هل تعلم أنه لو يشتم رائحة عطر رجولي فيّ غير عطره " "سيكتشف كل شيء

" أخبرتك أنه لا يهمني ..... كما أن عطره لا يعجبني "

.....

في الحقيقة إن معظم الوقت أقضيه في الخارج لا أريد أن أزعجها

اليوم و أنا عائد من الشركة

دخلت للبيت

وجدتها في غرفة الاستقبال تشاهد التلفاز و هي مستلقية الأريكة

هل هي مستيقظة ؟

اقتربت أكثر و رأيتها نائمة على ما أظن

أطفئت التلفاز الذي كان محدثا جبلة

فيما أن أحاول وضع جهاز لتحكم على المنضدة التي كانت بجانب رأسها

حاولته أن أضعه بحذر حينها فتحت عينيها

" ماذا هناك ؟ "

" لا شيء ..... لا تهتمي "

استلقت عازمة على الذهاب

حينها سمعنا جرس الباب

نظرت إلي بحيرة

من هذا القادم ؟

لا أحد أظنه يريد زيارتنا

ذهبت فتحت الباب

" مرحبا علي .... مرحبا كنزه "

" مرحبا وليد "

فيما كنزة كشرت في وجهي و تخطتني

.....

رأيتها تنظر نحونا

كان شعرها متشعث قليلا

و عيناها تدل على أنها كانت نائمة

" وسام ..... حبيبتي "

ذهبت نحوها وضممتها بقوة فقد اشتقت إليها كثيرا و كنت كل يوم ألح على علي أن يأذني لكي أزورها

" ها .....حبيبتي هل أنت بخير ؟ "

" بخير ..... حينما رأيتك "

" تقدم علي " مرحبا وسام .كيف حالك

" أجابته دون أن تنظر إليه " بخير

أعلم أنها خجلة منه لأنها بدون خمار

فقد كانت خديها حمراوين

" قال ذلك الأخرق " تفضل علي

أما أنا أخذت صديقتي لغرفتها بعد أن وجهتني لها

"هل يضايقك ذلك الغبي ؟ "

" لا "

فتحت يداي و ضمتني بقوة

" اشتقت إليك كثيرا "

و بعدها جلسنا على سرير الغرفة

أخذت تلعب كنزه بتلافيف مفرش السرير....

بعد صمت طويل أخذنا لا نعلم سببه

" قالت لي بسعادة تخفيها " كنزة ... أأخبرك شيء

" تفضلي يا نور عيني "

" أنا في بداية الشهر الثاني "

" أتعلمين .كنت أريد أن أسألك عنه لكن خفت إن كنت لا ترغبين في الحديث عنه "

" أضفت " هل تحبين الطفل

" قالت ببعض الخجل " ها ..... أحبه و أريده أن يأتي للدنيا

" قلت بسعادة تختلج قلبي " هل تريدينه ؟

" أريده أن يأتي ليزيح عني هموم الدنيا "

" إن شاء الله " "

" إن شاء الله "

"ما وضعك معه ؟

" لا أكلمه إلا حوارات عابرة "

" هل تزورين الطبيب بخصوص الطفل ؟ "

" نن .... لا أزوره .... كما أنني بصحة جيدة..... و هو يكبر في بطني بسرعة "

ههه ..... حبيبتي..... لا تقلقي .... الشهور الأولى هي الصعبة ، قليلا ..... لذا اهتمي لصحتك جيدا " " هذه الأيام

" أوكي "

وضعت خمارها على رأسها

" إلي أين ؟ "

" سأذهب ألاقي علي "

لا تهتمي له ..... إن كنت لا تريدين التواجد مع وليد في نفس الغرفة لا داعي لكي تسلمي على " " علي

لا ..... لا يهمني هو ..... كما أنه هل تظنين بعض جدران قد تفرقنا .... نحن تحت سقف واحد " " و انتهى الأمر

.....

كنت جالسا أتكلم مع علي

لكن في ماذا نتحدث أكاد أختنق

كما أن علي أصبح على وفاق معي

" مرحبا علي "

كان صوت وسام قادم من ورائي

جاءت و جلست كنزة قدام علي على الأريكة

مما جعلها مقابلي هي و زوجها و نظراتها الثاقبة

أعلم أنها أصبحت لا تطيقني بعدما حدث لكني لا ألومها و لا ألوم نفسي على فعلتي

ثم أحسست باهتزاز الأريكة التي أنا جالس عليها

أدركت بأن وسام جلست

أعلم بأنها لا تريد أن نتواجه وجها لوجه

" كيف حالك وسام "

"الحمد لله بخير .....و أنت ؟ "

" ماذا تظنين ؟ أكون بخير مع كنزه ..... مستحيل انسي الأمر "

" هههه .....لماذا ما بها كنزه ..... هل أرتك وجهها الثاني بعد الزواج "

" تقريبا "

" عن أي وجه تتكلمان عنه أنتما الاثنين .. أنتما مغروران "

" أنا مغرورة ..... يا كنزه الصوف "

" وسام ..... أخبرتك أن لا تنعتني هكذا ثانية "

كانت وسام تبدو مرحة قليلا ، في الأيام الأولى كنت كثيرا ما أسمعها تبكي في غرفتها

ثم بدأت تهدأ قليلا مع الأيام

أعلم أنك ستهدئين مع الأيام

فقط ضعي فكرة النسيان و ابدئي بالعمل عليها

أريد أن أحيا معك سعيدا

لا أن أملكك فقط و تكوني أمام ناظري

أصبحت أحيانا حين أدخل للبيت أجدها تتحدث في الهاتف مع كنزه...

مع التلفاز في المطبخ كانت هكذا تمضي وقتها

اتصلت بي أمي تطلب مني الحضور للبيت و أن هناك مفاجأة تنتظرني .....

لا أعلم ما هي المفاجأة التي قد تكون موجودة في بيتنا

. و بما أنها مفاجأة يعني أنها شيء يفرح و ليست مفجعة

ذهبت للبيت حيث هناك وجدت أمي و على وجهها ابتسامة عريضة

" أين هي المفاجأة ؟ "

" قالت " اجلس اشرب قهوة ... اشتقت إليك كثيرا

جلست على الأريكة ثم إذا بيدين تأتي و تغطي عيني

وتقول صاحبة اليدين " من أنا ؟ " اكتشفت أنها أنثى من خلال نبرة صوتها

" أبعدت يديها و قلت بعد تنهيدة " سلمى

" ما بك ألم تسعد بلقائي "

" بلا ..... يا ابنة خالتي "

رسمت على ابتسامة كي أخفي الحركة التي قمت بها الآن

" هيا ...كيف الأخبار ؟ "

" جاء و جلست ملتصقة بخير و تلعب دور الحزينة "بخير

" سحبت ذراعي و احتضنتها و قالت " ها ...تتزوج و لا تعلمني

" تعرفين .....لم أخبرك "

" هل حقا تزوجت تلك المتعجرفة ..... يا إلهي من صغري لا أتحملها "

كانت ابنة خالتي مذ أن كنا صغارا و هي تزورنا و تعرف وسام و كنزه و طبعا علي

و كانت كثيرا ما تتشاجر مع وسام

كنت دائما أفضل وسام و سلمى تقول لي

" جئت ضيفة و وحيدة و لا أعرف أحدا غيرك و أنت تفضل وسام و تتركني وحدي "

" انتظري أنا قادم..... جلست معها قليلا "

و على الأرجوحة حين تتصارع الفتيات من أجل الركوب ، كانت وسام دائما ما تقول " ادفعني ..... هيا ..... أريد أن أطير " و تبدأ تحلق في العالي و شعرها الذي كان طويل يطير معها و ضحكاتها تحلق معها

" ..... وليد أنزلها ...دوري دوري "

" *انتظري قليلا يا سلمى ...دعيها قليلا .... إنها سعيدة* "

" وليد .....هل حقا تزوجت تلك المتعجرفة ..... يا إلهي من صغري لا أتحملها "

" ليست متعجرفة .... كما أن الفتاة جالسة في بيتها و أنت تتكلمين عنها "

" قالت أمي " أنت .....لا تدافع عنها .... كما أن كلام ابنة خالتك صحيح

" في ماذا صحيح ..... بأن الفتاة متعجرفة "

" حملت نفسي قائما و قلت " سأذهب للمتعجرفة أفضل و أحسن لي

" وليد .... هل ستذهب ... الآن فقط وصلت "

" سأعود يا ابنة خالتي ..... متى احتجت شيء "

.....

جالسة مع التلفاز أقلب القنوات طالعة نازلة لا شيء يأسرني

مع أنني كنت أعشقه في الماضي

الماضي القريب الذي أصبح ماضيا منذ قرابة الثلاثة أشهر

سأدخل بالحمل في الشهر الثالث و لم أزر طبيب بخصوص الطفل

لكني أريد أن أعرف جنسه بنت أو ولد

و لكن لا يهم إن فتاة أو ولد

المهم أن يأتي بصحة جيدة

ثم سمعت صوت مقبض الباب يدور

التفت لأراه يدخل

تجاهلته كالعادة

كنت ألعب بيدي بخصلاتي شعري

و باليد الأخرى أحمل جهاز التحكم

" أريد أن أخبرك شيئا "

.....

وقفت لأنظر إليها

و بدا لي انتفاخ بطنها بسبب الحمل

" ها .. تفضلي "

" سأدخل في الشهر الثالث ..... و في هذا الشهر يتبن جنس الجنين ...و أريد أن أعرف جنسه "

" حسنا ..... متى أردت ذلك ..سأأخذك للطبيب "

كانت تتكلم والتوتر باد عليها

" حسنا "

.....

كانت كثيرا ما تتصل بي سلمى

و حين أذهب تمسكني من ذراعي

" أرجوك .... ابق قليلا "

" يا ابنة خالتي ..... سأعود "

" لا ... لتنم هذه الليلة هنا "

" حسنا ..... يا سلمى يمكنك أن تأتي عندي و تباتي بقدر ما تشائين "

قلتها وقتها في لحظة فرار

لكن لم أظنها ستأتي

كنت جالسا على أحد المقاعد في غرفة الاستقبال مع حاسوبي المحمول

فيما وسام مع شاشتها الخاصة أيضا > التلفاز< ممسكتا طبق من الفواكه في يدها

حتى سمعنا جرس الباب الخارجي

حينها دق الجرس يعلن قدوم أحد

أنزعج

حقيقة لا أريد أحد أن يضايقني

لأنني لا أرى فائدة من قدوم أحد

إلا المشاكل

فتحت الباب ، لأرى تلك الفتاة ذات الشعر الأشقر المسدول على ظهرها المرتدية سروال جينز ملتصق بجلدها و كنزه ربيعية باللون بالأسود في نهاية أزرارها معقودة عقدة صغيرة

"سلمى ؟؟"

" نعم ...سلمى "

" و قالت و هي تدخل للبيت " لا تنسى أنك عزمتني .... و أنا لا أرفض دعوتك أنت

التفت لأرى تلك التي تنظر نحوها بجهالة و ترمي قطع الموز في فمها

" قلت " تفضلي ..... ها .... ابقي بقدر ما تشائين

ثم توجهت سلمى نحو وسام لتسلم عليها

" هاي ..... وسام .....مابك تنظرين نحوي هكذا .ألم تعرفيني "

" قالت " لا

" أنا ..سلمى .ابنة خالة وليد .....تذكريني "

" ابتسمت لها و قامت من مجلسها " أذكرك

بدأ يظهر عليك الحمل " وضعت يدها على بطن وسام و طببت عليه "

ها .... بدأ " قالت ببعض التوتر "

" في أي شهر أنت "

" قالت بخفوت " دخلت في الثالث

" آآآآآ .... حقا ...جيد "

أعلم أن سلمى لا تتحمل وسام بقدر شعرة

و لا أدري لماذا أقامت هذه المسرحية

هذا ما ينقص زاد أحضر ابنة خالته المقززة .....

لم تتحجب ، في الحقيقة عائلته لا تبالي بالحجاب

أمه حين كنا صغارٍأتذكر لم تكن محجبة

إلا حينما ظهر شيبها سترت عيبها ووضعت حجابها

أنا لم أتفق معها منذ صغرنا ، و الآن لا أرى خيرا

مذ اليوم الأول بدأت بالتعجرف

كما أنني طلبت من ابن خالتها أن يأخذنا أنا و طفلي للطبيب لأعرف جنسه

اتصلت بكنزه و أخبرتني أن نلتقي في المستشفى

في الصباح

"إلى أين ....أنتم ذاهبون ؟ "

" أجابها وليد " للطبيب

" قالت و هي تمضغ شيئا " خيرا ؟

" كل خير "

نزلت قبله و ركبت السيارة من الوراء

.....

" كيف كانت ليلتك الأولى .... جيدة "

" رائعة "

" واصلت ببعض من الريبة " وليد .... ألا تنام مع زوجتك ؟.... أقصد في غرفتكما

" قلت بضيق" لا تتدخلي بيننا

" كان مجرد سؤال "

" سؤال ؟؟ فقط ..... كوني ضيفة فقط "

" حسنا "

كانت متكئة على النافذة و تتأفف

أعلم أنني تأخرت بسبب ترهات سلمى

" بنت ..... أووه ...كم ستكون حلوة .... تشبهك و عيناها عسليتين مثل عينيك تخيلي عيني " ..

كنت مستلقية على سرير المرضى فيما الطبيبة تمرر بجهازها على رحمي

و كنزه واقفة أمام رأسي فيما ذلك الرجل جالس على كرسي يحدق نحو الشاشة المصورة لبطني

"..... كنزه بلهفة " هيا أغمضي عينيك و تخيليها ..... ستكون جميلة مثلك .....و تحمل ملامحك

" قالت بغيظ "فقط

ثم نظرت نحو وليد الذي كان يمسح بيديه لحيته النابتة

و نظر نحوها حين قالت كذلك

لكن ماذا يقول ، الحق كله مع كنزه ، و كنزه أيضا لا تتوانى على إزعاجه

هههه مجنونة

بنت

ستكون رائعة

و جميلة

.....

لم أتخيل أن تكون بين يدي فتاة

الآن فقط بدأت أتخيل ، كيف سأحملها بين يدي ، كيف سأطبطب على ظهرها

الأبوة شعور جميل

يقولون أن إحساس الأمومة يخلق عند الأم في فترة الحمل

أما إحساس الأبوة يخلق بعد الولادة

صحيح ، و على حسب رأيي إحساس الأمومة خلق عندها

و تبدو أجمل به

و لو كانت أية فتاة بطبيعة الحال

ستكره الطفل الذي يكون نتيجة اغتصابها، لكن هي ببساطتها و طيبتها أحبتها

" قالت كنزه "برأيك ....هل سيكون لديها غمازتين مثل غمازاتك

" قالت وسام بخجل " لا أعلم

" أتعلمين أنا أرى أن أجمل شيء فيك غمازاتك "

" ! ضحكت ضحكة خفيفة " حقا

أنا برأيي إضافة لغمازاتها الجميلتين بدون نقاش

عينيها العسليتين الآسرتين

اللتان أعشقهما

. .

أوصلتها للبيت و التففت للشركة فقد تأخرت قليلا

الرابع من الشهر ، نفس المبلغ ، نفس الموعد .....

. إلى أين ، تذهبين يا هيفاء ، أنت على هذه الحالة منذ سنتين ، الآن فقط التفت نظري إليك

مبلغك لم يتغير إلا حينما تغير مبلغ العطر الرجولي

لمن تأخذين كل تلك الكمية

آآه لن أبقى كالأبله ، سأنتظر ك للشهر القادم و أعلم أين تذهبين ؟

كنت جالسة في غرفة الاستقبال ، كنت بلحظات ذات نشوة رائعة ، و أنا أتخيل فتاتي .....

" الله .... فيما ماذا تفكرين ..... أراك سعيدة "

جلست الأريكة و هي ترمقني بنظرات ذات مغزى

" ها ..... ذهبت للطبيب ....ماذا أخبرك ؟"

" حاولت تجاهلها ثم قالت " أنت في الشهر الثالث ..... ما هو جنس الطفل ؟

" فتاة "

" ضحكت بمياعة " فتاة

" ثم تمتمت بصوت سمعته " إذن فتاة غير شرعية

و قامت و ذهبت

ماذا ؟

! ابنتي

غير

!! غير شرعية

.....

عدت متأخرا قليلا للبيت و بما أنني تأخرت عن العمل ، عملت لوقت متأخرا

، ذهبت نحو غرفتي حيث غيرت ثيابي

كان الكل نائما والبيت صامت

حتى من صوت التلفاز

ذهبت نحو المطبخ و تناولت وجبة خفيفة

و عدت عازما الذهاب لغرفتي لأخلد للنوم

حينها سمعت

صوت بكاء خافت يصدر من غرفة وسام

وسام

.....

أطفأت الأضواء و انتظرت أن يهدأ صوت البكاء لكنه كان يزداد

و أنين الألم واضح فيه

فتحت الباب حينها رأيتها

كانت الغرفة مظلمة و ضوء خافت يتسلل عبر النافذة

كانت جالسة على الأرض و رأسها على السرير

و تبكي

و تتأوه من لحظة لأخرى

ما بها

ألم أتركها صباحا و السعادة تملؤها

" ناديتها بخفوت " وسام

التفتت نحوي و هي تبكي و عيناها حمراوين

" زاد بكائها و سمعت تطلق آهة من صدرها بصعوبة " آآه

أحسست كأنها تنتفض مع تلك الآهة

اقتربت منها و وضعت وجهها بين كفي

" قلت بحنان " ما بك ؟ ..... أخبريني

كانت تعتصر الدموع من عيناها

كأنها تعصر الألم معه

" قالت بألم " لماذا ؟ لماذا ؟

" ها؟ ....قولي ....هيا "

" ابنتي ..... ابنتي "

ماذا تقصد

تابعت " آآآآآه ....." أطلقت تلك الآهة و تابعت

غير شرعية .... ابنتي غير شرعية .. لماذا فعلت هذا بي .... لماذا .. أتعلم ما معنى أن تكون . " . " بنت غير شرعية

لم أسطع أن أنطق ببنت كلمة

سينفر الكل منها ..... كما أنها فتاة ليست ولد " هجمت علي و أمسكتني من قميصي "

و قالت و هي تصرخ " أتعلم معنى أن تكون غير شرعية ... لن تستطيع أن تعيش مع مجتمعنا ..... "... ..... لن يغفروا لها خطأك .... سيكرهونها

" اهدئي "

كيف كيف أهدأ ..... حين ظننت أن بؤسي سيختفي حين تأتي ..... اكتشفت بأنها ستأتي " " لتشاركني إياه

" لم أستطع أن أتفوه بكلمة غيرها " آسف

" كانت عيناها مملوءتان بالدموع بدأت توجه لكماتها الخفيفة لصدري " لماذا قتلتني ؟ لما أحسست بأن رجليها لن تحملاها وبدأ وزنها بالاختلال

أمسكتها قبل أن تسقط و وضعتها على سريرها

وربت على شعرها

و اقترب منها ليشبع شوقه لها

و قرب نفسه من رقبتها ليشتم رائحة عطرها التي بات مدمنا عليها

و مسح دمعها النازل على خدها

و طبع قبلة على خدها الناعم

وتركها و ألم يعتصر قلبيهما

.....

زالت فرحتي و سعادتي بعد أن اكتشفت

هول المستقبل القادم

كيف ستعيش

كيف يا حبيبتي

يا حبيبة أمك

لا أدري إن كنت سأكره سلمى أم أشكرها لأنها أيقظتني على حقيقة غفلت عنها

مع أني أعلم أنها قالت ذلك لتغيظني

لا أكثر

.....

وليد اشتقت لأحضانك و قبلاتك

و تلك الليالي التي قضيناها معا

لا أدري إن لا زالت في بالك

لكنها أنا محفورة في عقلي و قبلي

حبيبي وليد هل تظن أن غبية مثل وسام ستأخذك مني

إنها مجرد خطأ وقعت فيه ثم ستعود إلي

مثل كل تلك السنين التي كانت هي غائبة فيها

. كنت لي و ستبقى لي

أعلم أنك كنا نقضي تلك الليالي في أحضان بعضنا البعض

حين تكون تتألم و تحزن بشدة

لكن على ماذا ؟

و كنت كثيرا تهمس باسمها و دموعك على خدك

لكن لا يهمني

يا وليد ، أنا من بكيت أمامها ، وتعريت أمامها ، و ثملت أمامها

. لن ألومك لأن الشيء الذي يجمعك بها هو الطفل و لا أكثر

دخل وليد للبيت كان حزينا للغاية .....

" وليد ...ما بك ؟ "

ذهبت إليه وضممته

" لا شيء .... يا سلمى أريد فقط أن أرتاح "

" حسنا "

ثم دخل لغرفته

أما أنا أعلم أن وسام غطت في نوم عميق

لذا ذهبت نحو المطبخ و أخرجت كؤوس الخمر و قنينة الخمر > الويسكي < و علبة الثلج ووضعتهم في غرفة الاستقبال على المائدة

خرج من غرفته حيث وجدني ممسكة بكأس خمر و أأرجح قطع الثلج بداخل الكأس

رأيته ينظر نحو القنينة نظرات شهوة

" قلت و أنا أصب في كأس " تفضل

لن يرفض ..... أعرفك يا ابن خالتي ، امتدت يداه نحو الكأس و شربه بعنف و أخذ يصب كأس وراء كأس

وأخذ يدخل دائرة الثمالة ببطء

و أنا أشاركه الشرب

.....

نجحت خطتي قدته نحو غرفتي ، الليلة ليلتنا يا وليد

يداي امتدت نحو رقبته وقبلتها

و ما هي لحظات حتى تفاعل معي و ذبنا في أحضان بعضنا

.....

استيقظت من كابوسي فجأة

و الدموع ملأ عينيّ

" رأيت أبي ينهرني و يقول لي " أبعدتي عني حفيدتي

بابا اشتقت إليك ، أرجوك تعال و أخرجني مما أنا فيه بابا

خرجت من غرفتي نحو الصالون

أريد أن أكلم أبي

اشتقت إليه ، أخاف أن يغضب علي

اتصلت ، يبدو أن الخط مفصول

أو هناك خلل ، لا أعلم

كل ما أعرف الآن أنني لا أستطيع الوصول له

و لكني أريد أن أسمع صوته أريده

.....

لا أعلم في أي عالم أنا غارق

كل ما أعرفه أنني بين أحضان امرأة

لا أعلم ربما تكون وسام

كم آمل أن تكون هي

أريدك حبيبتي، أنا مشتاق لك و رغبتي بك جامحة

حينها سمعت طرقات خفيفة على الباب

حملت نفسي و فتحته لأجد أمامي

وسام

نظرت للفراش ، من تلك ؟

خرجت و أغلقت الباب ورائي

.....

كان عاريا الصدر ، عيناه حمراوين ، ورائحة الخمر تفوح منه أتذكر أنني ذهبت نحو غرفته لأبحث عنه لكنني لم أجده

و علمت أنه في غرفة سلمى

" اقترب مني و أمسك بوجهي و قال بصوته الثمل " ما بك حلوتي ؟

و دنا مني ليقبلني

أبعدته عني بصعوبة

" قلت و أنا أبكي " أريد هاتفا ... أريد أن أتحدث مع أبي

كانت عيناها تدمعان و تطلب مني هاتفا .....

" قلت " ها .لا تخافي ..... سأعطيك

و دخلت لتلك الغرفة أبحث عن هاتفي أين أين

" كانت جالسة على إّحدى المقاعد " تفضلي

أخذته و ذهبت

و دخلت للغرفة أنظر لسلمى على الفراش التي كانت تنظر إلي

أنا ماذا أفعل في غرفتها

أنا ماذا أفعل بين أحضانها

.....

اتصلت بأبي

" ألو .....بابا "

"بصوت متسائلا " وسام ؟

" بصوت باك " بابا .....اشتقت إليك

" بثبات " هل أنت بخير ؟

" بابا لماذا لا تسأل عني ..أتعلم أنني أموت إن نسيتني و تخليت عني "

" قال " هل تحتاجين شيء

شيئا ؟ ....أنا أحتاج إلى حبك و عطفك يا أبي .....أرجوك لا تتخل عني ....لا أزال ابنتك .... لا " "تنسني

" بجدية " من قال أنني تخليت عنك ...أخبريني

" أنت لا تسأل عني "

" صرخ " تعلمين أنني لا أريد أن ألتقي بذلك الحقير

" تابع " حسنا سأغلق

..... بابا .سأنجب فتاة "

" أضفت بعد صمت " ...ماذا تريدني أن أسميها ؟

" افعلي ما تشائي "

" لكني أحتاج إلى رأيك "

بعد صمت طويل ، ظننت بأنه قطع الاتصال

سمعت بكاء أبي

" ثم قال بصوت باك " فيروز ..... سميها فيروز

ثم أغلق الخط

حين أسمع أو أرى أبي يبكي

أحس كأن هموم الدنيا على عاتقه

أبي لا يبكي إلا حين يحس بالعجز الشديد و أنا أخاف من بكائه

.....

خرجت من غرفة سلمى ماذا أفعل هناك أحسست كأنني ارتكبت خيانة في حق وسام

رغم علاقتنا التي لم تبدأ أساسا

جلست في غرفتي و أخذت أبكي

لحظات و سمعت طرقات على الباب ثم تدخل وسام يحجمها الصغير ،

اقتربت مني و مدت لي بالهاتف

ناديتها و الدموع ملآ عينيّ

حبيبتي ..... سامحيني " و ضممتها بقوة "

هل لكم أن تعرفوا كم قتلتني المقاومة التي أبدتها حين ضممتها

كسرتني تلك الحركة

اتركني " قالت بصوت ضعيف و بضيق "

" . أبعدتها و مسحت على شعرها " آسف

حبيبتي .أرجوك سامحيني ..... أنا أحبك .....مشتاق إليك .....لا تبعديني عنك ....لا "
" أستطيع ..لا أستطيع

نظرت لعيناها قد ألتمس منهما أملا في أن تصفح عني

لكنها أبعدت يدي الممسكتان بذراعيها

و خرجت من غرفتي ببساطة

فقط تركتني

. خال اليدين

و تركتني وسط أكوام الهموم غارقا بينهم و لا أستطيع النجاة

أنتظرك أن تصفحي عني و تنجيني من الأمواج التي تغرقني و تهلكني

.....

، نمت نوما قريرة العين بعد أن كلمت والدي

أحسست كأنني تجرعت كميات هائلة من الأكسجين أعادتني للحياة بفضله

استيقظت في الصباح الأولى ، لأجد كؤوس الخمر و تلك القنينة المقززة على المائدة .....

الله الله كاد يفتح هنا بار

استرنا يا إلهي من طيش السفهاء

حملت الزبالة للمطبخ و ارتديت قفازين لأحمي نفسي من الخبث

و نظفت كل شيء بأقوى أنواع مواد التنظيف

أما عن قنينة الخمر ، ليست خضراء اللون ، بل كانت علبة زجاجية مع كؤوسها الخاصة إذا فهي ليست قابلة للرمي

.....

كان جسدي كله يؤلمني من ليلة البارحة

كانت مقززة بطريقة لا توصف

ذهبت للحمام اغتسلت و ارتديت ثيابي ، حينها دخلت سلمى

" وليد ...أين أكملت ليلتك "

" و أنت ما شأنك ؟ "

" بلا ..... هل تمزح نمضي نصف الليلة مع بعضنا ثم تذهب و تتركني في منتصفها "

" هل جننت يا سلمى ..... أصلا لم أكن بوعيي "

" ماذا تقصد وليد ... تلعب معي حين لا تكون بوعيك و حين تعود إليه تتركني "

" سلمى بدون مراوغة ..... ماذا تريد مني "

" .....اقتربت مني و أخذت تلامس وجهي بوجهها " أريدك أنت .....تعلم هذا جيدا

" ما بك سلمى هل جننت ؟ "

" لا ليس بعد .... أنت تعلم بأنني منذ صغري و أنا أحبك و حتى الآن لا أزال أحبك "

" عن أي حب تتكلمين ..... عن طيش المراهقة "

" طيش مراهقة ؟ هذا الطيش بالنسبة إلي حب عمري "

" كفي عن جنونك يا سلمى "

" أنا لست عذراء .....أنا في هذا السن فاقدة عذريتي "

" أنا لم أغصبك على شيء .....أنت من سلمت نفسك لي "

" أنا فعلت ذلك لأنني أحبك ....و لأنسيك همومك "

" أنا لم أطلب منك ..... كما أنها عندي فترة مراهقة و انقضت ..... و أنا متزوج لا تنسي هذا "

" وليد "

"ماذا ؟؟"

" أنت تفعل كل هذا بسببها ..... أعمت لك عقلك و قلبك ..... كل تلك السنين التي تركت فيهم أنا من كنت بجانبك .....أنا من أنسيتك هموم قلبك التي خلفتها هي .... لماذا في الأخير هي من تحصل عليك ..... لماذا "

" اخرسي "

" لماذا تحبها ...هي لا تبالي بك "

" أمسكتها من شعرها " لا شأن لك

" تابعت " و إن كان لا يعجبك الأمر يمكنك المغادرة يا ابنة الخالة

خرجت من الغرفة و الدخان يتصاعد لرأسي

لأجد تلك تمسح طاولة الصالون و نظرت إلي ثم تابعت عملها

كم يقتلني ذلك التجاهل منك

رغم كل ما أفعله لأكون معك

خرج هو.....

فيما بعد خرجت سلمى من غرفته و النيران تتطاير من عينيها

" أين وليد "

" قلت " لقد خرج

نظرت نحوي ثم تقدمت و قالت و هي تكز على أسنانها " لعينة ..... حقيرة ..... لماذا عدت من حيث ذهبت ؟ "

لم أفهم ما كانت تقول ، صرخت في وجهي " لماذا عدت و أخذته مني ..... كان ملكي كل تلك السنوات .... ليتك مت هناك "

" ماذا تقولي ؟ "

" ماذا أقول ..... أخذتي مني حب قلبي ..... أخذتي وليد ...لم أكن أريد شيئا غيره "

" صدقيني . أنا لا أريده . أنا لا أحبه "

" إن كنت لا تحبيه .لماذا يركض ورائك ...لماذا "

.....

خرجت أتنفس الصعداء

كما أن اليوم لا دوام لي في الشركة

و بعد لحظات صعدت للبيت

حينها وجدت سلمى تصرخ في وجه وسام

" صرخت في وجهها " سلمى ..... كفى

" صرخت باكية " لا .....لا يكفي ....هي سبب كل هذا

" أقسم .. أنك مثل أمك سارقة الرجال..... .تفتنوهن بجمالكن .....حقيرة مثلها "

بدأت وسام تبكي حينما نعتتها

تقدمت حتى وصلت عندهما أبعدت وسام للوراء

صرخت بها " احذري يا ابنة خالتي ..... إياك أن تحاولي نعتها من جديد " أولتني ظهرها و غادرت لغرفتها

" لأجد تلك التي أعطيها ظهري و هي تبكي " حقا ... أنت رائع يا وليد

قالت بعد أوقفت دموعها " حين نعتني .....بابنة علياء .....كانت.لديك كافة الحقوق في أن تقولها ..أما هي لا ..... لا تدافع عني .أعرف كيف أجلب حقي بيدي "

و التفت عازمة على الذهاب أمسكتها من ذراعها

علني أقدر في أن أصحح شيء

صرخت " اتركني " و غادرت

.لماذا، دائما حين أحاول أن أحسن و أخفض الوضع و الشحنات التي بيننا ، أدمر كل شيء

اللعنة "ضربت برجلي المائدة الزجاجية التي كانت صوبي، و تحطمت لفتات صغير كما تحطمت أحلامي".

.....

" ألو ..... مرحبا ماما "

"ابني ..كيف حالك ؟ "

" بخير . الحمد لله "

" ابني ..... اقترب رأس السنة ....و سنحتفل به كعادتنا .... أتمنى أن تحضر و لا تخذلني "

" طبعا .سآتي .هذا احتفال "

ابني أنت تعلم أن أعمامك و أخوالك..يعلم بأنك تزوجت .إن شئت أحضرت العروس ..... و إن " أبيت نتحجج بحملها أو شيء من ذلك القبيل "

" لا أعلم "

أنهيت المكالمة و رأيت سلمى وأمامها حقيبتها

" قلت " إلى أين ؟

" تعلم أن رأس السنة اقترب و لا أريد أن أترك خالتي وحدها "

" حسنا ..... اللقاء"

غادرت تلك الوقحة منذ أسبوع تقريبا .....

كنت في غرفتي

أمام المرآة كاشفة على بطني

أرى الثلاثة أشهر لابنتي في بطني

تتحرك داخل

تضربني أحيانا

تتنفس داخلي

قلبها يدق

أظن سمعت طرقات على الباب لكني أظن

لم أبالي سوى بالعالم الساحر الذي غرقت به بسبب حلوتي الصغيرة

عندها فتح الباب و أطل برأسه

أخذت أحدق به لا أدري ماذا أفعل

أحس كأنني تحجرت مكاني

غطيت بطني باضطراب

و أحس بالاحمرار كسا خدي

أعلم بأنه كان في الغرفة معنا عند الطبيبة لكن كانت كنزه تغطيني بطولها

أما الآن على المباشر

" ممكن أن نتحدث "

بأي عين وقحة جاء يريد التحدث معي

جلست على السرير و أهرب بنظراتي

" ها ..... .تفضل " "

" هناك حفل رأس السنة في بيت عائلتنا "

كانت جالسة على السرير و أتكلم معها.....

" و أومأت برأسها حين اقترحت الفكرة و قالت " كريس ماس للمسيحيين

" هو ليس كريس ماس ... كريس ماس "

" قالت بعناد" بلا .... كذلك

" و ليكن ..... لا تهتمي لهم ..... كما أن كنزه ستكون هناك "

" تمددت على السرير و أغمضت عيناها " حسنا .... سأذهب

.....

كنت جالسة أنظر للأجواء من حولي

تبدو مقززة ، الموسيقى ، خمر و غيرها من القرف

. العائلات الغنية في المدينة مختلفة عنا

كان منزله واسعا و شامخا

حين كنت صغيرة لم أكن آتي إليه

أمه كانت تبغضني ،حتى قبل أن يتم اكتشاف حقيقة الخائنان

مرة قدمت إلى هنا أسأل عن وليد بعد تحطمت يده بعد أن كنا نلعب

" *خالتي ممكن أن نرى وليد* "

" *حقا.... أنتم من كسرتم له يده و تريدان رؤيته .... انقلعا* "

" *خالتي نحن آسفتان ..... دعينا نراه* "

كلا ..ارحلا " و غلقت الباب في وجهنا أنا و كنزه "

كنت جالسة معه على إحدى المقاعد فيما أمه ترمقني بنظرات مخيفة

" ابني ...اذهب و سلم على أعمامك ..... ها قد وصلوا "

" حسنا "

راقبته أمه و هو يذهب نحوهم

" ألن تخلعي حجابك "

" هناك رجال غرباء ..... لن أخلعه "

" ..... حقا "

" تمتمت" فتاة معقدة

ثم جاءت سلمى مرتدية فستان أزرق قصير ملتصق بجسدها و عانقت خالتها من وراء الأريكة

خالتي . ما رأيك " و أشارت لنفسها "

" رائعة و جميلة "

أجابتها بمياعة" شكرا ..... " و جلست ملتصقة بها

" لو تعلمي بعض الناس ذوق اللبس "

" من ؟؟ "

" المعقدين "

لو كنت أعرف أين أذهب

لكنت حملت نفسي

و لا أبقى أسمع في اهاناتهم

وضعت رأسي على الأريكة و أخذت أنظر في العدم

" هل أنت بخير ؟ "

رفعت رأسي لذلك المتحدث

الله كم أصبحت صاحب ذوق

أخرق

أممم " و أومأت بعينيّ "

.....

كانت أمي و ابنة أختها يتهامسان

فيما التي بجنبي عبوسة

أعلم أنها ضجرت

" التفتت إلي و قالت " هل يوجد غير الصالون في بيتكم ..... مللت

" تصعدي لفوق ؟ "

" ها "

قامت و هي تضع يدها على بطنها و تتأوه

" ابني . أخبرني ماذا ستنجب زوجتك "

" بنت "

" كنت أريد ولدا .....على القليلة .يصبح عندي صورة أخرى منك "

" بنت أو ولد كلاهما رائعان "

صعدت للغرفة الخاصة بالنوم.....

و رميت نفسي على السرير

أريد أن أخرج من هنا

المكان كله قرف

لم أكن من قبل أرى هذه التصرفات في وليد

أصلا لم يكن يبدو منهم

الآن فقط بدأت أشعر أنك حقا منهم

و تنتمي إليهم و بخمس نجوم

.....

جاء علي رحبت به

أما عن كنزه رمقتني بنظرات حادة كعادتها

" أنت ..... أين وسام "

" فوق في غرفة النوم "

التفتت و نظرت لعلي

" هل يا ترى سيعجبها "

" طبعا "

" ماذا ؟؟"

" و أنت ما شأنك "

" أووف ....يا كنزه .... افعلي ما تشائي"

ثم سحبت علبة من جيب معطف علي و غمزت له

و ذهبت لها

" قلت " ما بها

" أحضرت شيئا لوسام "

" حقا "

. مغمضة عينيّ و مضطجعة على السرير .....

حينها فتح الباب بقوة

و دخلت كنزه و هي تصرخ فبدأت أصرخ من الرعب

" وسااااام "

"آآآآآآ"

" قلت " ما بك يا مجنونة

" هل أرعبتك ؟ "

" إيه"

" هيا ..... تعالي أريك ماذا اشتريت ؟ "

" ماذا "

" انظري "

" ماذا ..... علبة "

" افتحيها "

فتحتها فإذا بي أرى حذاء أطفال باللون الوردي

" قلت و الدموع تسري على خدي " آآه ..... إنها رائعة

" حقا ... أعجبتك ؟ "

.....

فتحت الباب عازما أن ندعو أنا و علي الفتاتان اللتان في الغرفة

حينما فتحته وجدت وسام محتضنة حذاء صغير وردي اللون

و الدموع ملآ عينيها

" و تذهب و تضم كنزه " شكرا يا حلوتي ..... أسعدتني

ثم التفتوا نحونا

" قال علي " هيا ألن ننزل

" لحظة .. قطعت لحظة سعادتي .....دعك منه وسام "

.....

لو لم تكن معي كنزه لترفع معنوياتي لكنت سقط مغشيا عليّ

. من الإحباط

كان ممسكا كأسا من الخمر

و يشرب بينما علي يتحدث معه

ثم نظر نحوي ركزت أن أنظر إلى كأسه ، لأشعره بالغيظ

" كنزه ..... هل علي يعلم بأن وليد يشرب الخمر ؟ "

" ها ..... يعلم "

" لماذا يكلمه .....كما أن علي لا يشرب "

" هو يعرف أسباب شربه .... يفهمه "

حقا ..... أسبابه " بسخرية "

" ها "

" مهما حدث لا يوجد سبب يبرر السكر "

هو بدأ الشرب في سن العشرون ..... لم يكن يوما ليختلط بعائلته .. لكن حين دب الفراق "
" .أصبح يلتقي بأولاد عمومته و أخواله وأصبح ...تقريبا مثلهم

" أععع .... أصبح مقرفا "

" لا لا "

" ألا ترين اليوم بأنك حدت عن مسارك اليوم ..... و أصبحت تبررين تصرفاته المشئومة "

" آسفة .. نقل علي العدوى لي "

.....

بعد قليل ذهب علي و كنزه و كنت أودعهم

و كان معظم الضيوف غادروا

و حين صعدت أبحث عن وسام أو أمي

سمعت الصراخ و صوت البكاء

صعدت لأجد أمي و ابنة أختها الباكية و وسام

" خالتي ..... لقد أخذت مني وليد ... و إن كانت لا تحبه لماذا لا تتركه لي "

صرخت فيهما " ماذا تظنين إني ربطته بالحبال لكي لا أتركه لكي ..... خذيه إنه عليك بالمجان .... " لا أريده

حسني ِألفاظك ....و لا تكلميها .....هكذا .....قدرها أعلى من قدرك..... كم أن ابني ..... "لا يعجب باللواتي مثلك"

" ضحكت " حقا ..... لا يهمني ذوق ابنك ..... كما أنني لا أريده

" عاءت و أخذته مني "

كان لكي كل هذه السنون ..... لماذا لم تروضيه و تبعديه عني .....كان لكي ..... وأنت الغبية " ".....أو حين عدت حلت لك الدنيا لتروضيه ... ابتعدي عن طريقي ..... و كفي عن إزعاجي

حكت كثير من الكلمات التي جرحتني لكن بما أنها قوية شيء جميل

لأن في المرة السابقة حين تجادلت مع سلمى كان تبدو ضعيفة ودموعها كانت على مشارف الانهيار

تعجبني القوية

الفتاة التي لا تضيع حقها

" الله الله ...خيرا .... ماذا يحدث هنا ؟ "

" انظر .... زوجتك ستلتهمنا "

" أعع هذا ما ينقصني..... لحم عائلة *ألسلامي* ..... يبدو من الآن كيف سيكون طعمكم "

" شفت ..... تطيح بقدرنا أيضا..... انظري يا ابنة الساقطة ألا يكفي أن أمك أطاحت بقدرنا "

كانت وسام تبدو في أشرس حالاتها

كانت تريد أن تضربها

جريت نحوهما وقفت بينهما كسد أوليت ظهري أمي و قابلت الشرسة التي أمامي التي مازالت تريد النيل منهما

قالت وهي تتعلق على كتفي " أقسم سأقتلك ..... تنعتينني .. ... أنا من ينعتونها الخسيسون .....سأريك "

كنت أحاول أن أمنعها ، لكنها قوية رغم حملها

" اهدئي ..... اهدئي "

بدأت دموعها تنساب

" تحالفتم ضدي ..... كلكم تنعتوني هكذا ..... حتى أنت "

كانت دموعها تهطل لكن صرامة وجهها محفوظة

" قالت أمي " أقسم أنك غبية مثل والدك

" أحفظي لسانك "

"..... والدك حتى الآن لا يزال يخدع .... حتى بعد مغادرة أمك "

" التفت لأمي و صرخت " أميييي ..... كفى

" قالت بحيرة " ماذا تقصدين ؟

" والدك غبي كيف تزوج ابنة خالة تلك المرأة "

" صرخت "كفي عن نعته بالغبي و وضحي كلامك؟

" زوجة أبوك .... تخونه "

" صرخت " ماذا ..... أنت كاذبة

هل في دمهم نسب الخيانة ....و إن لم تصدقيني ..يمكنك أن تزورها عند منزل عدنان كل 4 من " الشهر "

" كانت وسام تتمتم " ماذا .... مستحيل ..... بابا

كادت تسقط إلا أنني أمسكتها و قدتها إلى الغرفة

" بابا .....مستحيل "

" التفتت إلي و أمسكتني من قمصي " لا لا .....أمك تكذب ....أبي ستأتيه جلطة إن عرف

حاولت أن أهدئها لكن كانت تبكي بشدة و تنادي باسم والدها " يا حبيبي يا بابا ..... كيف ستحس حين تعرف "

" التفت إلي و قالت " خذني إليه ..... خذني إليه

" اهدئي ....اهدئي "

يا أمي لما فعلت هكذا

كلما تهدأ و أحس أنها تحسنت تسوء حالتها

" لا خذني إليه .....خذني "

" اهدئي ..... حل الليل ..غدا سأآخذك ....غدا "

ها .. غدا ...حقا ..." تمتمت "

" طبعا سأآخذك "

" ستأخذني ..... ستأخذني "

ثم فقدت وعيها

الليلة قضيتها معها

و طوال الليلة وهي تهذي باسم والدها و تبكي

حين حل النهار .....

" قفزت من على الفراش و وضعت حجابها و قالت لي " هيا

" إلى أين ؟ "

" بخذلان" ماذا ..... إلى أبي

" آآه ....اهدئي.....تناولي فطورك ثم "

" لا لا.... بابا "

" تنهدت " حسنا .حسنا .....أرتدي ثيابي ثم نخرج

.....

وصلنا للبيت

و نزلت كالمجنونة

فيما غادر وليد

".. حينها وجدت أبي في الخارج " بابا

و عانقته بحرارة

" بابا أريد أن أخبرك شيئا مهما "

" ابنتي أنا أيضا "

" ما هو "

" هيفاء ..... أشك فيها و في صدقها .... من الصباح الباكر غادرت "

" سكت قليلا و قلت بقلة حيلة " بابا

" ها ..ابنتي "

" إنها تخونك .....و ستجدها عند عدنان "

و من غبائي أخبرته أين يجدها

دخل أبي كالمجنون للبيت

و عاد وهو يمسك مسدسا

" بابا إلى أين ؟ "

أمسكته من ذراعه

" بابا أرجوك لا تفعلها .....بابا "

دفعني و سقطت على الأرض و قمت مجددا و لحقت به

ركب السيارة

لكني أسرعت و ركبت معه

و شغل المحرك

كان يسوق كالمجنون و حينها

أوقف السيارة أمام بيت عدنان

و كسر الباب و دخل ليجدهم في تلك الحالة المقززة

أنا ما إن رأيتهم عادت إلي مرأى يوم انتهاكي

و خرجت للخارج

و أخذت أستفرغ و أنا أبكي و أتذكر وليد

يوم لم يرحمني و يعتقني من تلك الجريمة

" آآآه "

أطلقت تلك الصرخة و أنا أبكي

حينها دخلت باكية.....

" و أمسكت بذراع أبي " أرجوك .بابا . لا تتركني .....لا تفعلها

" ثم تتركني ... بابا ... لا تتخلى عني."

" التفت إلي و قال " ابنتي

" أرجوك .لا تفعلها "

انزلق المسدس من يده

و ضمني و أخذ يبكي و أبكي

اكتشف بأن هيفاء لم تكن فقط خائنة بل لصة.....

قامت و سرقت مبالغ كبيرة من أبي دون درايته و بهذه التهمة دخلت السجن

بقيت مع أبي عدة ليالي و أنا أبكي بين أحضانه

لماذا ؟ يا الله أي ذنب فعلناه ..... لتعاقبنا يا إلهي بهذه الطريقة .....طعنتين من نفس الناحية و لنفس الجرح .

التقيت به في الحديقة

" جلس على الكرسي و قال " متى ستعودين ؟

جلست بقربه و قلت و أنا ضائعة في حزني " أعلم أنني تأخرت ..... أنا تقريبا في الشهر و أسبوعين "

" تابعت " لا تقلق ..... أنهي الأسبوع و آتي

" قال و هو يقوم " حسنا

" قال و هو يمد يده ملوحا دون أن يحركها"لا تقلقي .....اللقاء

مضى تقريبا شهرين و هي .....

خارج البيت

اشتقت إليها رغم أنها حين تكون في البيت لا يحدث شيء بيننا ، وتبقى تكشر في وجهي، أو تشاهد التلفاز ، أو تبتسم سرقة مع نفسها أو مع ابنتنا

اليوم ذهبت إلى بيتهم و أحضرتها

كانت تبدو هادئة نوعا ما ، عكس الأيام الأخرى ، كانت تبكي و تقول لي أن أتركها مع والدها ، هي تحبه كثيرا ،و أظن أنه يعني لها الكثير من قبل حتى أن تخدعهم أمها .

دخلت البيت

و على وجهها ابتسامة عريضة أتمنى أن تكون من اشتياقك للبيت

دخلت غرفتها ثم خرجت و غيرت ثيابها كانت مرتدية عباءة ربيعية طويلة بدون كمين و على وجهها ابتسامة مشرقة

بطنها يزداد انتفاخا ،و على ما أعرف إنها في الشهر 5 ،

.....

أحس باطمئنان شامل بعد أن قضيت الشهران مع أبي

تركته مرتاحة البال

و أصبحت بخير

بابا ابنتي

كنزه علي

كلهم يجلبوا لي السعادة في حياتي

الشيء الوحيد الذي انتظره هو مجيء حبيبتي فيروز

فيروزتي أنتظرك بفارغ الصبر

كنت جالسة أنا و هو

كالعادة و المعتاد

أنا مع حبيبي

التلفاز

و هو مع هاتفه

سألني عن شيء لكن عقلي لم يكن معه

"قلت " نعم ؟

"الفتاة ؟؟ "

" ما بها ؟؟ "

" حسنا ...أأأ .لا تهتمي ..... واصلي ما تفعلي "

" لا لا لا .....قل .ما الأمر ؟ "

" بتوتر" الفتاة .... ماذا ستسمينها ؟

" آآآه ..... فيروز "

" رأيت يميل شفته السفلى إعجابا " فيروز .....جميل

" ثم أضفت بسعادة و فخر و أنا أنظر للشاشة " اختاره أبي

ها أبي من اختار اسم ابنتي

اختار اسم حفيدته

دائما ما يميل أبي نحو أسماء الأصالة و الفخامة و الأحجار الكريمة

إلا أن أنا اسمي لطيف

اختارته أمي

أمي

ماما

مرت فترة لم أنادي تلك الخائنة سوى الخائنة

دون لقب أمي

هل كلمة أمي لقب

نعم ، بالنسبة إلي لقب

الاسم كلمة دائمة الاستعمال

أما اللقب ثانوي الاستعمال

و عند أي ابن كلمة أمي اسم على حسب فلسفتي

اسم لأنها رئيسية

إلا أنني لا أناديك إلا الخائنة

اسمك الخائنة لا أمي

.....

أصبحت الأوضاع أكثر هدوءا

في البيت

في الخارج

إلا في قلبي لا يزال هائجا

إلى أن تصفحي عنه

لكني خائف

خائف

إن لم تكوني واضعة هذه الفكرة في رأسك من الأساس

سأتحطم ليس إلا أشلاء

بل لفتات

لذرات

وصلني اتصال على هاتفي من علي

جاءني صوت كنزه باك

" خيرا ؟ "

" بصرامة " أعطني وسام

" وسام .....خذي كنزه"

" ماذا هناك ؟ "

" لا أعلم "

" بسعادة " خيرا كنزه ..ماذا هناك

"....."

" توترت " كنزه .....هيا قولي

."....."..

" ماذا ..بابا "

"... نظرت نحوي " وليد

" بابا.."

و بدأت دموعها تنساب على خديها

.....

أسرعنا نحو المستشفى

كانت في الطريق

تقريبا

ستجن

" كانت تهذي بصوت باك " بابا

ثم نزلنا كانت ستركض

. إلا أنني أمسكتها خوفا عليها و على البنت التي ببطنها

" اهدئي ....اهدئي ... سيكون كل شيء على ما يرام "

اتصلت بها كنزه أخبرتها بأن والدها في المستشفى ليس أكثر

. كيف هو . وضعه . صحته . لا نعلم

فقط أنه في المستشفى

وجدنا كنزه و علي

. علي جالس على الكرسي واضع رأسه بين كفيه فيما كنزه أمامه باكية

" تقدمت وسام إليها باكية " كنزه ..... أين بابا هو في الداخل .....هو يريدني

" دنت منها لتضمها لكن وسام صرخت فيها و هي تدفعها " ابتعدي عني

نظرت نحونا ثم أطلت عبر النافذة الشفافة المطلة على غرفة أبيها

" بابا ..... من ذاك المغطى باللحاف الأبيض ..... من "

" صرخت بكنزه " من ... أخبروني

" نظرت نحو علي " علي ..... ليس أبي ... بابا في البيت .تركته في البيت .منذ أسبوعين

"..... جاءت الممرضة و قالت " من هم أقارب المتوفى

" نظرت وسام إليها ثم نحونا " أي متوفى تقصده

" قالت الممرضة " مصطفى *العدلي*

قالت بخفوت " بابا " ثم سقطت مغشي عليها جريت نحوها و حملتها إلى أحدى الغرف

.....

بدأت أفتح عيني و أنا أرى أمام

رجلا ينظر نحوي ثم يلتف إلى جهة أخرى و ينادي بكلمات لم أستوعبها

" وليد "

همست باسمه بمجرد ما إن أدركته

" نعم ..... هل أنت بخير ؟ "

أومأت نافية

"سأموت ..... سأموت .....بابا "

بمجرد أن نطقت بكلمة بابا تذكرت

.من هم أقارب المتوفى..... مصطفى العدلي..... من ذاك المغطى باللحاف الأبيض

" بدأت أصرخ " بابا

دخلت كنزه ثم تلاها علي

" هل أنت بخير "

" اهدئي ...وسام "

كانوا ثلاثتهم ينظرون إلي بهلع

" أبعدت عني اللحاف و نزلت مني السرير " ابتعدوا .... سأذهب لأبي

". أمسكتني كنزه الباكية من يدي " والدك

" أنزلت رأسها "...أتته جلطة

أبعدتها لأجد أمامي علي يحاول أن يصدني عن الخروج لكني اجتزته

حين رأيت ذلك الرجل ينظر نحوي همس باسمي " وسام " انهرت و سقطت أرضا على ركبتي

نزل لمستواي

" قال بحنو " سيكون كل شيء على ما يرام ..... على ما يرم

" نظرت نحو الأرض و قلت بيأس" انتهى كل شيء ..كل شيء . لم يبق لي أحد .و لا أحد

.....

أنا مازلت

أفعل أي شيء لأجلك

لأجل بسمتك

أفعل المستحيل

و لأجل أن تكون معي

أفعل أي شيء

" قلت بعد طول صمت " فيروز ... قادمة ....انتظريها . ....اصمدي لأجلها

" توقفت دموعها للحظة و همست " فيروز ....حبيبتي

رفعت ناظرها عن الأرض لأرى تلك العينين العسليتين اللتان أذوب فيهما عشقا قد كسرت لمعتها

بدأت تبكي

دنوت منها و ضممتها لصدري لتجهش بكاء بين أضلعي

آه يا روحي كم يؤلمني أن أراك تتحطمي أمامي يوما بعد يوما

و تفقد تلك الزهرة اليافعة التي كنت أعرفها في صغري

تفقد نشاطاها و حيويتها

حبيبتي تتحطم أمامي و لا أستطيع أن أفعل شيء

أنظر إليها

و أتأملها و هي تتألم و أبواب الدنيا تنغلق في وجهها

فقط لو ترضين و تمدين يدك ليدي

سأفعل أي شيء

لأخرجك من هذه الرمال المتحركة التي تبلعك للقاع

.....

فقدت أبي لم يبق لي في الدنيا

غيرك يا حبيبتي

تعالي بالسلامة

تعالي لأحضاني لتفرحيني

و تزيلي عني

بؤسي

و همي

مضى قرابة النصف الشهر منذ مغادرة الغالي

لا أزال ملتحفة بالأسود

حداد عليك

كلما أشتاق إليك أمسك تلك الرسالة

حيث حروفك و كلماتك محفورة عليها

حبيبتي وسام

أكتب هذه الحروف بصعوبة ويدي ترتجف ، ابنتي أحس بأن أجلي اقترب ، ربما هذا لإحساس يراود البعض ، لكن يقولون كل من راوده ، صدق إحساسه ، أنا لم أتألم كثيرا من طعنة هيفاء بقدر ما تألمت من طعنة أمك بل هي جاءت لتذكرني بما فعلته أمك ، جاءت و ذكرتني بالآلام التي عشتها تلك الأيام ، و أخذت وقتا طويلا في لملمت نفسي ، و استرجاع قوتي ، أحسست بأن أمك عادت للحياة ،و خانتني مرة أخرى ، كلما أتذكر المرات التي كانت تركتك و تتركني لتذهب فيها لذلك الرجل ، و حين اسألها لما تغيب عنا هكذا ، تقول لي أنني تغيرت و لم أبقى مصطفى القديم ، و كنت أنا كالأبله ، أفعل أي شيء لأعود لمصطفى القديم المزعوم ، كنت أفعل أي شيء لأرضيها ، لكن هي لم تبالي إلا بنفسها، حتى المرات التي كانت تأتي فيها هيفاء تستدرجني إليها إلا أنني لم أعطها وجها ، كان حب أمك مكبوت بداخلي ، كان أكبر من أن أخونها ، و مع من ؟ ، مع ابنة خالتها ، لا ، مستحيل كنت لأفعلها ،و أصبح مثلها ، أحببتها و لا أزال أحبها ، بت أتعذب من حبها ، أتألم ، أنا أقول لك هذه الكلمات و أنا في أقصى حالات العجز في حياتي ، هل تعلمين ما معنى أن يعجز الرجل ؟ . معناه انتهى كل شيء أمامه ، ربما المرأة حين تصل لحالات العجز تستنجد برجل أمامها ليعيدها للحياة .لكن لا يوجد أحد أستنجد به. و لكن لو كنت أمامك و قلت هذا الكلام .كنت ستقولين بأن الله معنا في السراء و الضراء ، لكن يا ابنتي يستنجد بالله أقوياء الإيمان و ليسوا الضعفاء مثلي ، انظري خسرت كل شيء ، حتى قربي من ربي ، ربما بعض ما أقوله فيه نوعا من الكفر ، لكن يا ابنتي ادعي لي بالمغفرة فقط المغفرة ، اعلمي يا ابنتي بأنني لم أشعر يوما بالخزي منك حين ولدت و حين كبرت و حين زوجتك للستر كما قالوا ، لم أشعر بالخزي إلا من نفسي و أنا أزوجك من رجل لا تريدينه ، لا تحبينه . سامحيني

في الأخير ، أتمنى أن تأتي ابنتك بصحة جيدة و تربى في عزك و دلالك ، أحبك كثيرا و أتمنى أن تفرحي بهذه الرسالة كما أنا فرحت بها لأول مرة أقول مافي قلبي و لمن ؟ لفلذة كبدي ابنتي ، يقولون أن أبناءنا فلذات أكبادنا ، لكن أنت كبدي كله ، أتمنى أن تسعدي و تفرحي و تتشبثي برجل مناسب حين تجدينه لأنه سيخرجك من بؤس إن وقعت فيه و إن لم تجدي هناك الله هو أوسع رحمة و حبا بعباده .

اللقاء حبيبة والدك

أبوك ، مصطفى العدلي

بابا ليغفر لك الله و يشملك برحمته الواسعة

.....

واضع يده على رأسه

و في دماغه ألف سؤال

أنا في المستشفى .... أفقت بعد غيبوبة 7 أشهر ..... ثم خضعت للعلاج الفيزيائي فقد كنت مشلولا كليا

أحسست بنفسي أموت ذلك اليوم ، لكن عدت من الموت عدت للحياة

.....

كانت جالسة ساهية في اللاشيء

على حسب مرآي

لكن في عقلها

ساهية في آلامها

و غارقة فيها

دق الجرس

قدمت كنزة مع علي

كعادتهم يريدون أن يبثوا السعادة في قلبها

و البسمة لوجهها

لكن هي رافضة الرغبة العودة للواقع و للحياة الدنيا

هيا وسام .تعالي أريك ما اشتريت لك .فستان جذاب .....أعلم أنك ستقعين في غرامه ما إن " ترينه "

وسام " ..... " صامتة لا جواب

" كنزة بعناد " وساااام

" ماذا ؟ "

" هيا قومي جربيه "

" لا رغبة في أن أجربه "

" لماذا لا تزالين ترتدين الأسود "

" و أنت ما شأنك "

" بصرامة" هيا .اخلعيه

" لن أخلعه "

آآآه .....حين توفي جدي الذي كان بمثابة أبي قلت لي أن أخلع السواد ..... خلعته ..... أما " أنت طبل خاو ..... لا تفهمي "

نظرت لها بحدة

ألم تقولي بأن المرأة لا تحزن على رجل أكثر من ثلاثة أيام ..مهما كان عدا زوجها و أنت في " نصف الشهر "

" ثم وضعت كنزة يدها على فمها و شهقت و قالت " وسام

" ماذا؟ "

" أصبحت لا تخافين الله .و تخالفين ما شرعه "

نظرت بتوتر وسام نحوي و نحو علي حيث كنا واقفان

" و قالت باضطراب " لا ..أنا أخافه

" إذن .... هيا "

" ماذا "

" هيا "

" حسنا "

و جرت نحو غرفتها

ثم انفجرت كنزة ضاحكة ثم علي و تلاه أنا

" يا لها من تقية ..... فتاة مجنونة "

صحيح ، إنها تخاف البارئ الرحمان

عكسي أنا

علاقتي انقطعت به تعالى

منذ تركتني و سلمت نفسي لشياطيني

كنا أنا و علي بعيدين عن عائلتينا التي تميل للخمور و الرقص و العري

بسببكما أنت و كنزة

سلمنا نفسينا للحب

و استطعتم أن تملآ قلبينا بالإيمان

لكن انطفئ كل شيء في قلبي حين تركتني

عكس علي الذي زاد إيمانه توهجا و نورا بعد أن تزوج كنزة

رغم معارضة أهله في البداية ثم بقي متمسكا بها حتى تزوجها

و الآن حتى بعد زواجي بك

لا زلت أميل للخمر و الجنس ° الذي آخر مرة مارسته مع سلمى ، و مارسته طيلة الفترة التي تركتني فيها °

رغم أنني أرى نظراتك الحادة حين أكون ممسكا بكأس الخمر

لا أستطيع أن أعود لربي

أريدك أن تخبريني عنه و عن ديني بنفسك

و تهمسي لي بكلام البارئ بنفسك

ليس لأستغل قربك مني

لأنك صادقة

و ما ينبع منك غير الصدق

و يأتي كلام الله رقيقا حنونا

من ترتيلك

أنت رائعة

و قلبك مملوء بكلامه سبحانه

و حفظته كله ورتلته في سن صغيرة

لا أكذب بأن هذه الأشياء جذبتني إليك

حين أخبرتك بالأمر قلت لي بأن جزء النقاء فيّ

بدأ يحيا

قلت لك حينها و أنا أضحك لقد كان في سبات و حين عرفتك استيقظ

ضحكت أنت أيضا و قلت ربما

لكن هل تعلمين بأنه عاد للسبات

جزئي النقي عاد للسبات

أريده أن يحيا

لكن لا أستطيع وحدي

لا أستطيع

.....

خرجت مرتدية عباءة محتشمة باللون الأخضر الباهت و على رأسي خمار أكثر اخضرار من خضرة العباءة

صفرت كنزة

فيما أنا أصبح خدي يتوهجان حمرة من الخجل

"قالت " لما الأخضر ؟

قلت بسعادة " لون الإسلام ..... وكي أثبت لكي بأني أخاف الله و أحبه "ورميت نفسي على الأريكة جنبها

" تخافينه..... تخافينه ..... لا تكترثي بأحد "

" لا أعلم "

لا يوجد أحد متأكد

من أنه يخاف الله

و معنى أن تخافه

هي أن تقوم بالعبادات و تجتنب المعاصي

و هل الكل متأكد من أنه يقوم بالعبادات على أكمل وجه و يجتنب كافة المعاصي

.....

عادت تقريبا للحياة

أصبحت تهاتف كنزة

أسمع ضحكاتها

و هي تحادثها

معظم الوقت تتحدث عن البنت

فيروز

أصبحت أنتظرها بشوق

أعلم أنه لا يعادل شوق وسام

لكن بدأت أعجب بأبوتي

أحسها زادتني رجولة

يقولون أن الأمومة تولد مع الفتاة حين تولد الفتاة

تولد بحنانها و عطفها و أمومتها

لكن الرجل

يكسبها حين يصبح أبا حقيقيا

عكس الفتاة

دون أن تكون أم

تملك في كيانها الأمومة

الأبوة لا تزيد الرجل إلا شهامة و رجولة

اتصل علي

" مرحبا يا رجل "

" مرحبا "

"هاي يا صاح ..... عزمك أبي لزفاف أختي رجاء ؟؟ "

" ها .....طبعا "

" ستأتي .....أليس كذلك "

" لا أظن ذلك "

" ثم جاءني صوت كنزة صارخا " ماذا .....بلا ستأتي ....و ستحضر وسام

" و ماذا أفعل لها ...هل أجبرها "

" قالت آمرة " ضع وضع السماعة

" ماذا "

" وضع السماعة .....أريد أن أكلم وسام "

قلت لتلك التي جالسة على الأريكة ممسكة إحدى المجلات

" وسام .....تريد كنزة أن تكلمك "

" حسنا "

" مرحبا "

" وسام يا حبوبتي ..... هناك زفاف أخت علي ..... أنتما معزومان تعالي مع وليد "

" لا أريد "

" لماذا .....بلا ستأتي "

" ليس لي نفسية في أجواء الحفلات "

" أيتها البائسة ..تعالي ....لتغيري الجو ..... تعالي نرقص نضحك مثل زمان "

" مثل زمان ؟ .....منذ متى أرقص في الحفلات "

" آسفة ..... لكن هيا .....حقا غيري جوا من أجل فيروزة .....عوديها على السعادة على الآن "

" ابتسمت " قلتي لي السعادة .....أو الرقص

" هيا "

"حسنا "

قالت كنزة لعلي و هي تضحك بصوت مسموع " أرأيت .حين يتعلق الأمر بفيروز مباشرة
" توافق ..... سأستغلها كثيرا بواسطتها

" سمعتك "

" I love you “

.....

كنت راكبة في السيارة

للزفاف التي صرعتني به كنزة

أخت زوجي ستتزوج

أخت علي ستتزوج

صرعت دماغي

حين وصلنا لمنزل *آل سلامي* { عائلة علي }

رحبت بنا أم علي و والده

و عزوني إثر وفاة أبي رحمه الله

و تفاديت أن أسلم على والدة وليد

بعد الذي حدث

و لكني لست جاهلة

لألومها على قولها لي الحقيقة

ثم جاءت كنزة مع علي و سلمت عليّ بحرارة

" أمسكتني " تعالي معي

" نظرت اتجاه علي و وليد " سنعود فورا

" دخلنا غرفة " ما هذه الحالة ... أنت في عرس ... هيا ضعي ماكياج

" من أين لي به "

" حسنا ...خذي"

و أعطتني أحمر الشفاه

" و ضعت القليل " زيدي ..... هيا أكثري

" حسنا "

كانت ستضربني

" حسنا .....أنهيت "

و توجهت للباب عازمة على الذهاب للحفل

" إلى أين ..... لم ننتهي "

" ماذا .....لقد وضعت "

" و هل تسمين أحمر الشفاه وحده ماكياج ..... لا لا ...ضعي الكحل ..... و لوني جفن عينيك "

" نظرت لملابسي " يناسبك .....بني مع ملابسك و عينيك

" أعفيني من هذه المهمة..... أرجوك "

" هيا ...ضعي و إلا سأضع لك بنفسي .....لا رحمة "

.....

علي لم يتركني للحظة كان مرافق لي طول الحفل على الرغم من أني طلبت منه أن يذهب لاستقبال المعازيم

" قال " العائلة طويلة و عريضة ....ليستقبلهم أيّن كان

جاءت كنزة معها وسام

كانت وسام مختلفة هذه المرة

وجهها ضحوك

جميلة هي بالماكياج تصبح أكثر فتانة عن ذي قبل

في البداية خجلت و كانت تخفي شفتيها اللذيذتين بيدها

ثم بعدها اعتادت

و أنزلت يدها

كنا نتكلم على فيروزة المنطورة

أووه كم أنتظر ..... هذه الكائنة الصغيرة ..... سنحملها ....و نداعبها .....ماذا ستدعوني ؟ " خالتي "

" قالت وسام و هي ترمي بعض المكسرات في فمها و تمضغها " نن .....بل نانا

" نانا .....ليس جميل .....أفضل خالتي ..أجمل بكثير "

تحدثنا كثيرا و ضحكنا و

عينيّ لا تتوانى عن النظر لتلك الجميلة التي تدعى زوجتي

آآه" نظرنا نحو كنزة التي تعكرت ملامحها"

"قال علي " هل أنت بخير عزيزتي ؟

" لا أظن ذلك ..... أريد أن أستفرغ "

" قالت وسام " حسنا .....تعالي معي

.....

استفرغت كثيرا

حتى بت أشك

" هاي .....يا فتاة ألا يمكن أن تكوني حامل "

" صرخت " ماذا ؟ .....حقا .هل يمكن ؟

" قلت " انظري عندي .اختبار الحمل ..خذي و تحققي

" حسنا "

.....

جاءت الفتاتان

وكنزة تخفي ابتسامة بيدها

" قال علي " مابك حبيبتي ..هل أنت بخير ؟

"بدأت تضحك "أنا سعيدة .سعيدة

" مابك خيرا "

" أنا أنا ..حاااامل "

تمزحين " أومأت نافية "

ثم هجم عليها و عانقها و هو يضحك

" فرحتني .أسعدتني حبيبتي .كيف عرفت ...كيف .ومنذ متى "

" الآن .....و أعطتني وسام اختبار الحمل "

فيما نحن في نهاية الحفل .....

" قال علي لي " ما رأيك يا رجل ... إن أنجبت ولد .....نزوجهما .....ابنتك و ولدي

أولا ياذكي ابنتي أكبر من ابنك بسبعة أشهر تقريبا .....و لن أزوجها برجل هي تفوقه "
" سنا .....ثانيا ابنتي تتزوج الذي تريده .....لن أجبرها

" مجرد اقتراح ...بالنسبة للسن .. تزوج بخديجة رضي الله عنها التي تفوقه بتسع سنين "

" صلى الله عليه و سلم "

كم لفت انتباهي أنني مضى وقت طويل لم أصلي عن النبي

أو حدثني علي عنه وعن قصص

" أتذكر أنه كان حين يحكي لي قصة عن سيدنا محمد أو عن الأنبياء يقول لي " كنزة حكت لي

صحيح و أنت أيضا كنت تحكي لي

و يوم أخبرتك بأنني أحبك

أخبرتني عن قصة خديجة رضي الله عنها حين أحبته صلى الله عليه و سلم

لا تزال هذه القصة الوحيدة الراسخة في ذهني

من بين القصص التي أخبر تني عنها

ربما لأن ذكراها جميلة

.....

عدنا للبيت

و ذهبت لغرفتي و غيرت ثياب

و آويت لفراشي

كم كنت سعيدة

بحمل صديقة عمري

و سعيدة بسعادتها و سعادة علي

" آآآه .آآآي "

أشعر بألم شديد في بطني

حاولت أن أتجاهله و أنام

لكن لم أستطع

الألم يشتد

وضعت يدي على بطني

و أعتصر الألم إنه يزداد فقط

كنت قد أغمضت عينيّ لأخلد للنوم ، بعد علبة السجائر التي تناولت معظمها .....

سمعت طرقات على الباب

من هذا

من قد يكون يدق باب في هذه الساعة

هل جاء علي و كنزة

لا أعلم

و لا أملك أدنى فكرة

وجدتها عند الباب .....

كانت مرتدية منامة خفيفة بدون كمين و قصيرة تصل حد الركبتين ، وحدها على جسدها كانت تظهر ملامح جسدها بوضوح ، أول مرة تخرج هكذا ، كانت دائما تتفادى أن يقع ناظري عليها

وسام واضعة يدها على بطنها و ملامح الألم عليها

" قالت بألم و دموعها تنزل " وليد ...أنا أتألم

" خيرا .ما بك ؟"

" لا أعلم .بطني يؤلمني "

" بتساؤل " هل آخذك للطبيب

أومأت برأسها موافقة

" حسنا ..غيري ثيابك .....و سآخذك "

صرخت " آآآآآآآآآآآآآآآآي "نظرت لها بفزع

" وقلت " وسام ما هذا ؟

و أشرت نحو عري رجليها

كان سيل من الدم يجتاز طريقه إلى أسفل قدمها

نظرت إلى رجليها و عادت تناظرنا و هي تبكي بشدة

" لا أعلم .....أرجوك خذني للطبيب .....أنا أتألم بشدة "

ما إن قالتها حتى عادت تصرخ و بدأت تهوي أرضا

" حملتها بسرعة و هي تصرخ " ..... اصمدي قليلا

.....

كان وليد يحملني و يركض بي نحو مدخل المستشفى

كان يتكلم

لم أكن أسمع كلامه

كنت فقط أرى لقطة

ثم أخلد إلى عالم آخر

ثم عيناي تنفتحان على مشهد آخر

كنت نائم على سرير يتحرك بي لا أدري إلى أين

و وليد على يمين السرير يتحرك معه و ينظر نحوي باضطراب

و أحس بيده ممسكة بي

و أسمع طبيبة على يسار السرير

تقول " المريضة حامل في الشهر السادس ..... حدث مها نزيف دموي .....النزيف لم يتوقف بعد "

.....

كانت داخل غرفة الاستعجالات

لا أدري ماذا أفعل

حين سمعت الطبيبة

تقول نزيف دموي

و كانت وسام

مملوءة بالدماء

السرير الذي كانت عليه

تغير لونه من الأبيض للأحمر

بدأت أستشعر الخوف

يتسلل لأعماقي

أمسكت الهاتف و اتصلت بعلي

" خيرا ..... يا رجل..... "

" قلت بتوتر و خوف كساني فجأة " وسام .....وسام

رددت اسمها و قلبي يرتجف عليها رعبا

" ما بها ..... أهي بخير "

" لا .....لقد أخذتها للمستشفى "

.....

"أين .....وسام ؟ "

" في الداخل "

" كيف حدث لها .....م.....ماذا حدث لها ..... أفعلت لها ....شيء "

" صرخت كنزة " هيا قل

".... صرخت بها " لم أفعل شيء .....هي من جاءتني .....تتألم

" انساب على خدي دموعي و قلت بخفوت " و تقول خذني للمستشفى

بدأت أدرك بأن الرعب ولج جوفي

و لا أعلم

أحس بشيء

سأخسره

و لا أدري

أنا خائف

خائف على حبيبتي

ماذا إن حدث لها شيء

ماذا سأفعل حينها

لن أستطيع تقبل الفكرة

لن أستطيع

.....

فتحت جفني بصعوبة

و أنا أحس بألم عظيم

في أنحاء جسدي

حين فتحت عيني جيدا

رأيت بصورة ضبابية

فتاة شابة كانت تعدل في شيء في أعلاي ثم

تنظر نحوي ثم نحو يمناي

" و تقول " المريضة .....أفاقت

و تذهب نحو باب الغرفة

ليدخل بعدها

وليد

.....

كانت كنزة تبكي

و علي تائه

فيما وليد عيناه حمراوين

كالجمر كان يبدو مخيفا

ينظر في الأرضية و عيناه تكاد تخرجان من جفنيه

" بقلة بحيلة " ماذا هناك ..... كنزة لما تبكين

زاد بكاءها

" علي ... ماذا حدث "

صامت أخرس

لا كلام

لا جواب

نظرت نحو الأخير

" نزلت دموعي " وليد

نزلت دمعة من عينه بعد إن اجتازت خده نحو فكه

لم يتحرك ساكنا

لم تتحرك سوى تلك الدمعة

.....

"لا .....لاااااااااااااااااااااا "

صرخت تلك الصرخة المدوية

جعلتني أنتفض من السهو التي كنت فيه

" بدأت تبكي " مستحيل ...فيروز ..ابنتي لا تزال في بطني .....انها هنا ..انظروا

لتكشف على نفسها و تنظر لبطنها

الذي لم يعد منتفخا

" فيروز ..... بطني لقد كان ممتلئا ..... لقد كانت ابنتي داخلي "

استعدت لتقوم من فراشها و ضعت يدها على بطنها و صرخت

" آآآي "

" و بدأت تتأوه " كنزة .....لقد كانت في بطني ..قبل أن آتي للمستشفى .....كانت هنا

" و أشارت لبطنها بدأت تصرخ و تحطم كل شيء أمامها " لقد كانت في بطني ...لاااااااااااااا

حاولنا أن نهدئها لقد كانت منهارة

قالت " وليد ..... لقد رأيتني كان بطني منتفخ .....لقد كانت هنا ..... لا أزال أحس بها في بطني "

كانت ممسكة بي و تصرخ

" ثم جاءت الممرضة ممسكا إبرة " سيدي .....سأعطيها إبرة مهدأة

تمسكت بي وسام أكثر

" كأنها تختبئ " لا لا ..... أنا حامل ....الإبرة ستؤذي فيروز .....وليد امنعها

حاولنا معها الكثير في أن تأخذ الإبرة إلا أنها كانت تقول بأنها ستؤذي فيروز

" حسنا سأهدها .....أنا ..... هيا اخرجوا ....هيا "

خرجت الممرضة

"ثم نظرت لكنزة و علي " هيا

" قالت كنزة " وسام

" بحدة " كنزة

.....

بقينا أنا و هو

نظرت للأعلى إلى وجهه ألتمس أملا

" نظر إلي " إنهم يكذبون .....ابنتي لا تزال في رحمي

هز رأسه نافيا

" قلت بخفوت " أحس بها

" قال و عيناه تدمعان " أرجوك .....اهدئي ..... فيروز لم تعد

ما إن فهمت الفكرة التي يريد

أن يوصلها لي

"حتى صرخت " لا .ابنتي لا تزال موجودة...إنها حية .....حيه .حيه

بيأس " لماذا .....أخذها الله مني .....لم أشبع منها .....لم أشم رائحتها .....لم أضمها لصدري ....."

" وسام .....اصمدي"

لن أصمد ....قلت لي من قبل أن أصمد من أجلها ....و الآن ذهبت ..لم تعد موجودة ....لماذا " أصمد " كنت أصرخ به

كالمجنونة

هل ذهبت ابنتي هل أخذوها مني

حبيبتي

لماذا يا ربي

أيّ امتحان هذا

إنه صعب

صعب جدا

لا أستطيع أن أصمد

لا أستطيع المواصلة

.....

خرجت من عندها

" هل هدأت "

" بصعوبة .....لقد نامت "

" كيف حدث .....هذا ..... ألم نتركها بخير "

" لا أعلم لا أعلم "

و بدأت أبكي

" قلت و أنا أبكي و أصرخ " كفوا عن التحدث عن الموضوع

رفعت رأسي لعلي و كنزة

رأيتهم ينظروا إلي برعب

صحيح

أنا لم أبكي إلا أمامك

و أنا أتوسلك أن تسامحيني

أعلم أنهم مدهشون كيف كنت أبكي

كنت أرفض أن أبكي

أمام أيّن كان

لكن حين أكون مختمرا

أبكي

و لا يهمني أحد

.....

دخلت البيت

مع علي

لأجد كنزة تعانق وسام التي كانت تبكي

لم أستطع أن أمشي

أو أن أحمل أثقال همومي

رفعت وسام من حضن كنزة و نظرت نحونا

كنت أهرب بنظراتي

ماذا أقول لها

بأنني عدت بعد أن دفنت ابنتنا

تركتها للتراب الأسود

و عدت خاو اليدين

" أين هي ؟ "

جلست على الأريكة

أما هي ركعت أمامي

" أين أخذت ابنتي .....وليد أرجوك أعد لي ابنتي "

قالت ذلك و هي تمسك برجلي

" وسام .هيا قومي ...كفى لم تفعلين بنفسك هكذا "

" لا لا .أعدوا إلي ابنتي "

كنت كل ليلة أزورها لغرفتها أجدها تضم حذاء صغير و هي تبكي .....

كانت كنزة تبقى معها

كي لا تشعر بالوحدة

و كما أنني لا أستطيع أن أهدأها

ما أنا أيضا خسرت

ابنتي

فلذة كبدي التي لم تولد بعد

آآآه لو تعرفي

كم كنت راجيا من الله أن تأتي

و تزيحي بؤس أمك عنها

فراقك عنها

لا يزيدها إلا وجع

أحسها كأنها تموت أمامي

كل يوم أراها

تبكي تنوح تصرخ

تفقد وعيها

نأخذها للمستشفى أكثر من مرة في الأسبوع

يوم دفنتك يا ابنتي

و أضعك في التراب قبل أن تأتي

إلى أحضاننا

كنت أبكي كالمجنون

لقد فقدت ابنتي

فيروزتي من كانت ستأتي

لتضيء حياتي

بنورها و طفولتها و براءتها

لماذا غادرت قبل تزوري حضن والدك

أبوك كان يريد ضمك و تقبيلك

.....

" ..... كلي "

"....."

" وسام .... هيا.....هذه الملعقة فقط "

" لا أريد...لا أريد الطعام .....أريد ابنتي "

يا حبيبتي .....ابنتك ذهبت للجنة ..... إن العالم الذي ذهبت إليه أفضل من هذه الدنيا .....ادعي "الله أن تلقيها في الآخرة"

التفتت وسام و أولت كنزة ظهرها

" قد لا ألقاها حتى في الآخرة "

" هيا يا حلوتي .....تفاءل خيرا تجديه "

.....

أصبحت تتناول طعامها بصعوبة

تنام بصعوبة

كل شيء تقيم القيامة بنواحها قبل أن تفعله

في إحدى الليالي وجدتها في المطبخ تبكي

" أنت ما القصة معك .إلى متى ستبقين هكذا "

" قالت وهي تمسح دمعها بظهر يدها و تبعد نظراتها عني و تدفعني بيدها بخفة " ابتعد

أمسكتها " كفي عن الحركات و عودي للحياة .....إلا إن كنت تريدين الموت فعندها ..... أخبرينا عن فكرة انتحارك "

" نظرت إلي بدموعها " أنت لا تحس بما أحس ....فقدت االبنتي .هل تعلم ما معنى هذا ؟

بلى أعلم ..لا تنسي أنها ابنتي أيضا ..أنا أيضا تألمت لأنني فقدتها قبل أن تأتي..... لكن يجب أن نحيا .الحياة لا تزال مستمرة "

" أنا أمها و أنا أحس بالألم فقط ..لأنني أنا من كنت أحملها في أحشائي"

أنا حملتها في قلبي .....حملت الأبوة في قلبي قبل أن تولد .....لذا كفي عن دور المتألمة و المتضررة الوحيدة .....كما أنك لما تتعبين كنزة كثيرا .....لا تنسي أنها لديها بيت تهتم به "

نظرت إلي بحيرة و هي تبكي " لم أكن أعلم بأنني متعبة هكذا ....آسفة .....أستطيع أن أعول نفسي وحدي .....لم أطلب منكم ذلك ...اتركوني "

.....

بدأت أحاول التأقلم مع الوضع الجديد

مع الخسارة الجديدة

بدأت أخسر كل شيء و كل واحد في حياتي

واحد تلو الآخر

لم يصفى معي أحد

كنت جالسة مع كنزة ....

التي أبعدتها عن علي

فقد أصبحت تهتم بي و ترفض أن تتركني

منذ حوالي شهر

أصدرت كنزة صوتا

" ما بك كنزة "

" سأستفرغ "

و جرت نحو الحمام

هي حامل

و أنا أتعبها معي

كثيرا

حامل

أنا أيضا كنت حامل

و فقدت ابنتي

بعد أن بقي القليل على مجيئها

رحلت و للأبد

" حبيبتي أأنت بخير "

" ها علي بخير "

" هل آخذك للطبيب "

لا سأبقى مع وسام " و جاءت و جلست بجانبي "

كما أنك لما تتعبين كنزة كثيرا

" لا اذهبي لبيتك ..أنا تحسنت "

افتعلت ضحكة

" ها أنا بخير .هيا اذهبي لبيتك يا "

" نظرت لها بمشاغبة " يا كنزة الصوف

" ضحكت علي و قرصتني " كنزة الصوف ...سأريك

و بدأنا نتدافع بأيدينا و نضحك

" قلت بصرامة " هيا إلى بيتك .....أو ترين هذا البيت فندق ..... هيا .....لبيتك.....

" ماذا تطردينني .يا وسومة "

" لا لا .قلت .الآن لبيتك ...هيا علي خذها زوجتك قبل .....أن أطلب الشرطة "

كلنا نعلم أن علي اشتاق لزوجته

" هيا حلوتي لبيتنا "

" أففف.....اتفقتم عليّ "

" رميتها بالوسادة " هيا

.....

أصبحت كئيبة بعد مغادرة كنزة

تحاول أن تملأ وقتها

لكنها أحسها

كأنها تفشل

كانت جالسة مع التلفاز على الأريكة

ثم أطفأته و أخذت تنظر في العدم.

ثم دمعة وراء دمعة

" ألم ننتهي بعد "

" ثم أجهشت باكية " لا أستطيع التحمل .....حين أنفرد .....عقلي .يقودني إليها

" جلست بقربها "حاولي أن تنسي ..... تستطيعين

" لا ...لا .لا أستطيع ..اشتقت إليها "

ضممتها لصدري و أخذ ت أربت على ظهرها

ماهي إلا لحظات حتى أحست بأنها تقاومني

ثم دفعتني

و نظرت إلي بهلع " أنت السبب .....أنت .....لو لم تغتصبني .....لما حملت بها و أحببتها ....."

" نظر ت لها و أنا أبكي " سامحيني ..... أرجوك

" أمسكت بيديها و نظرت لها " سامحيني .....على ما فعلت لك

أبعدت يدي و ضمتهما إلى صدرها " أنا وحيدة ....أصبحت وحدي .لا أحد معي ... أمي تخلت عني .....بابا تركني .....ابنتي لم أرها .....أصبحت وحيدة "

" أنا معك "

لا أدري كيف أخرجتها

أخرجت الكلمتين اللتان كنت أكبدها في قلبها منذ أن تزوجنا

نظرت إلي

" أنت ؟ "

أومأت بالايجاب

" أنت .....دمرتني من أوصلني لما أنا فيه "

" دنوت و قبلت رأسها " سامحيني .....آآه .....أرجوك

.....

ضمني

و دفاني بحضنه

مع أنني حاولت الإفلات منه

إلا أنني لم أقدر

تشبثي برجل مناسب حين تجدينه لأنه سيخرجك من بؤس إن وقعت فيه

رفعت ناظري إليه ما إن دوت في ذهني تلك لجملة و أخذت أنظر بخوف

بادلني النظرات و أمسك بوجهي

و قبلني على خدي

و أنا أتحاول التحرر من قبضتيه

" أنا أحبك .....ارحميني "

ارتفعت شهقاتي للأعلى

أبعد عن وجهي خصلات شعري و أمسك به وضع جبهته على جبهتي

"... و همس " أحبك ..و لا أقدر العيش بدونك ....سامحيني ...قلبي .....يحترق شوقا لقربك مني

" هدأت و قلت بهمس " كيف فعلتها كيف

أبعد رأسه على جبهتي و قبلني عليها

و بعد يخفض ضغط يده الممسكتان بوجهي

ليحررني و يمسح دموعه بحدة و يبتعد عني

و يوليني ظهره

و يسهى في أيامنا السوداء و هو جالسا بقربي

.....

كانت جالسة أمامي

فيما أنا غارق في بؤسي

لماذا يا وسام

لماذا

أصعب عليك أن تسامحيني

أو صعب أن تنسي ما فعلت بك

أعلم أنه ليس سهل أن تفقد فتاة كرامتها

و أعلم أنك لم تتوقعي يوما بأنني قد أفعل بك هذا

لكن

كل الأمور أفلتت مني

فقدت السيطرة على مشاعري

و رغباتي بك

سامحيني

إن كنت أنا البؤس الوحيد الذي في حياتك و الذي يدمرك

أدعوا ربي أن يدمر قلبي بأن يبعدك عني

.....

أحسست بحركة وراء ظهري التفت

فرأيتها تقوم من الاريكة

" آآآ "

واختل توازنها

أمسكتها

كي لا تقع

" أين تريدي ..أن تذهبي .....هل أساعدك "

" أريد أن أنام ....أأأ.....أذهب لغرفتي "

ساعدتها في أن تصل لفراشها

لفت نفسها باللحاف

حين كنت سأفلت يدي الممسكة بيدها كي أذهب شدت عليها

و قالت من تحت اللحاف

" أنا خائفة .....لا تذهب .....حين أنام إن شئت اذهب "

" حسنا "

و جلست على مقعد

على مقربة من رأسها

.....

كنت أسمع بكائها ، من تحت الغطاء و هي تتشبث به

" ما الذي يخيفك .؟ "

"..... لا أعلم "

" لما أنت متمسكة باللحاف هكذا "

" لأنه سوف يحميني "

كانت تتكلم بصوت باك من تحت الفراش

" مما سيحميك "

" زاد بكائها " دعني أنام

بدأ صوت البكاء و الشهقات تنخفض

حتى أدركت بأنها نامت

.....

سمعت حركة فكشفت عن وجهي

حينها رأيته يتوجه نحو الباب

" إلى أين "

" التف إلي و قال بتوتر " إلى غرفتي

قمت من على سرير حتى وصلت إليه

تشبثي برجل مناسب حين تجدينه لأنه سيخرجك من بؤس إن وقعت فيه

من هو يا بابا

من هو

أخبرني

أيعقل

أن يكون هو

لا مستحيل

كان ينظر نحوي باضطراب

" هل أنت بخير "

.....

اقتربت مني و ضمتني بقوة

"..... لا تتركني ....أنا وحدي .....لم يبق أحد معي "

" مسحت على شعرها و قلت " لا تخافي لن أتركك

لماذا تفعلين هكذا

إن كنت مصممة على أن لا تسامحيني

لماذا تقتربي مني

ابتعدي عني

أريد

أن أنتهي منك

و ينتهي قلبي من حبك

لماذا

تقتربي مني

لا أريدك أن تنظري إلي تلك النظرات

و لا حتى يكون بيننا أقل من خطوة

و لكن حين تقتربي لا أستطيع صدك

قلبي لا يقدر

و لا يتحمل بعدك

كان قلبي مع كل شهقة تطلقها

ينتفض معها

أبعدتها عن صدري بصعوبة

عنيدة

و لا تريد أن تبتعد

حين انتهيت من إبعادها عن صدري

بدأت تبكي

" أخبريني .....ما بك "

كنت ممسكا بوجهها

و كانت الغرفة مظلمة

و يتسلل شعاع طفيف من ضوء البدر المكتمل

لا يسمح لي إلا برؤية عينيها

آآآه يا حبيبتي ..... قلبي يهيج بقربك منه .....إن كنت عازمة على أن لا تسامحيني .....لا " تسامحي .....لكن ابتعدي عني و لا تقربي مني "

" تعلمين أني أحبك .و تفهمين ما أقوله جيدا .....لماذا تعذبني "

أبعدت يدي عن وجهها و ضمتني و أخذت تبكي

آه

ماذا يجول في عقلك

ماذا يجول في قلبك

أريد أن أعرف

أنا حائر

تائه

سامحيني .....و الله بت أتعذب يوما بعد يوم على ما فعلت لك .....سامحيني .....لم ينتج "" شيء عما فعلت .....إلا الألم "

رفعت رأسها نحوي و أخذت أمسح الدموع المالئة وجهها

كانت تنظر نحوي بعينيها المتلألئتين

كالبدر

عند هذه اللحظة و فقط

لا أستطيع مقاومة جمالها

جمال عينيها

و بشرتها

و شفتاها

كانتا بلونهما الوردي الباهت

رغم أنهما يكونان بالوردي القاني حين تكون منشرحة الصدر

أما الآن فهما باهتا الوردي

ربما بسبب هموم قلبها

ربما بسبب ما تمرين به

و تعيشينه معي

مررت إبهامي على شفتيها

أتحسس جمالهما

و امتلائهما

.....

كان يقترب مني ببطء

و قلبي يرتجف

من أنفاسه المقتربة

قرب شفتاه من شفتي

ماذا تفعل وليد ابتعد

لا تقترب أكثر

لم أعد أستطع مقاومتك أكثر من هذا

استسلمت لشفتاه الآخذتان

أخذت بي إلى عالم

لطيف حنون رقيق

ليس كالعالم الذي كنت فيه

مؤلم

و قاس

أمسكت برقبته بقوة فيما هو انتهى من قبلته الأولى

و عاد يقبلني مرة أخرى

قبلتها .....

لكن ماذا إن كانت سيحدث لها شيء

هي دائما

ما تخاف مني

تخاف من قربي منها

أبعدتها عني و أخذت أتصفح ملامحها

بدأت دموعها تنزل

و أجهشت بكاءا

حاولت أن أبتعد عنها

لكن يديها اللتان كانت ممسكة بي من وراء رقبتي

منعتني

توقفت دموعها عن السيلان و الانجراف لأسفل فكها

اقتربت من جبهتها وأخذت أستنشق عبيرها الفواح

و كانت نظراتها مدسوسة للأسفل رفعت نظراتها لعينيّ

أبعدت يديها

من رقبتي

و قربتهما من وجهي

و أخذت تلمس لحيتي

ثم رفعت من نفسها

و طبعت قبلة على خدي

أحسست كأن قلبي قفز من محله

ما بها هل جنت

أو أنها ليست الفتاة التي أعرفها

زادتني جرأة تلك القبلة

و أمسكت بوجهها

و أخذت أقبلها بكل وحشية و جنون

.....

كان يلتهم شفتي كالمجنون

حاولت التخلص منهما

إلا أن شيء منعني

غدوت أبادله القبلات

إن توقف هو تارة من تعبه

قبلته أنا

لا أدري

ماذا يحدث لي

كل ما أعرفه أن قلبي

يهيج هياج البحر من تلك القبلات

لا أدري كيف طاوعني عقلي

نعم عقلي

فقط تخليت عنه

و تبعت قلبي

و فعلت ما فعلت

همست له و أنا محتضنة رقبته فيما هو يقبل رقبتي

" لا تبتعد عني ..... لا تتركني "

" قال و هو يبلع ريقه " لن أتركك ..حبيبتي .....أحبك

طار قلبي ما إن قال كلماته

و رُفع القلم عني

" أنا أيضا "

قلتها بدون إدراك مني

و من عقلي

و الجزء الوحيد المدرك لما أفعل

هو قلبي

طبع قبلته الأخيرة

ليواجهني

كان ممسكا بوجهي

" ماذا قلتي ؟ "

"..... أنَا "

" و أجهشت باكية " أحبكَ

ضمني لصدره بقوة

أحسست كأنه سيدخلني بين أضلعه

.....

أحس بأنني رجل آخر

رجل بين أحضان حبيبته

كانت رائعة دافئة رقيقة

لا أدري إن كانت بوعيها

أو ليست مدركة لما تفعل

.....

حل الصباح

و حل معه نسيمه العليل الذي جعل معه صدري العاري يقشعر

تحركت لأرى أمامي تلك الأميرة النائمة بقربي

كانت وسام عارية تماما

هي جميلة بجميع حالاتها

فاتنة و ناعمة

قمت و أغلقت النافذة

و التفت عائدا إلى السرير

..

أزيح خصلات شعرها عن وجهها الملائكي

أنا خائف من ردة فعلها

حين تستيقظ ماذا إن لم تكن

بوعيها

ماذا حين تستيقظ

تصبح فتاة غير

الفتاة الجامحة التي عرفتها البارحة

.....

مضى .... قرابة الأربع سنين و هي فاقدة ذاكرتها . .....كما أنها أيضا دخلت في غيبوبة مثلك لكن " لسبعة أشهر "

" هل فقدتها كليا "

حالتها خاصة .....في البداية ظننا أنها فقدتها كليا حيث أخذت شهرين حتى بدأت تعرف من " هي .....بدأت تتذكر شيء فشيء و هي الآن متأخرة ..... ومتشبثة بعام و لا تريد أن تتركه .بعد أن بقي لها القليل لتعود للحاضر "

" أي عام متمسكة به .....أقصد ماذا حدث فيه . ألا تريد العودة لهذا العالم "

بالنسبة لهذا العام المتمسكة به .....تقول بأنها لديها فتاة عمرها 12سنة و متزوجة من رجل " يدعى مصطفى .....أما عن عودتها لابنتها و زوجها فنحن منعناها و شرحنا لها وضعها و ننتظر أن تتخذ أنت القرار بخصوصها .... كما أن وضعها متعلق بوضعك بما أنها كانت رفيقة رحلتك ... لهذا انتظرنا إلى أن تستقرك حالتك "

" هل يمكنني التحدث معها "

" يمكننك ذلك "

كنت أتحدث مع الطبيب الخاص بعلياء و أراقبها من النافذة الزجاجية و هي متكئة في غرفتها

ثم قررت الدخول للتكلم معها

حينما رأتني عدلت من جلستها

" سيد عمران .... ماذا تفعل هنا "

" مرحبا علياء "

" مرحبا ..... كيف أنت هنا "

كانت تتحدث معي برسمية

هي تعرفني جيدا

فقد كانت تعمل سكرتيرتي الخاصة

و بهذه الطريقة وقعنا في حب بعضنا

لكن هل يعقل أن تكوني نسيته هو أيضا

تابعت بحيرة " سيد عمران هل يمكنك أن تأخذني إلى عائلتي أنا محتجزة هنا .... سئمت البقاء هنا .... لا يسمحون لي بالذهاب و حين اتصلت برقم مصطفى وجدت الرقم أصبح لشخص آخر"

.....

فتحت عينيّ

كنت نائمة على جانبي الأيمن

لأرى وليد عاري الصدر

فاتح عينيه يحدق للسقف

حركت يدي لأتحسس عري فخذي حتى أعلى صدري

ماذا فعلت

يا إلهي أنا مجنونة

غطيت صدري باللحاف و تمسكت به

و التفت لجانبي الأيسر أهرب من هذا الذي بجانبي

أحسست بأنه تحرك

انزل من السرير اخرج ماذا تفعل هنا

اتركني

" وسام "

بتلقائية التفت له

كنت سأكمل التفاتي ليميني

ليستوقفني في منتصف طريقي

و بقيت أحدق للأعلى حيث كان هو يحدق إلي

بقيت أنظر إليه

ماذا عساي أن أفعل

كيف سأبرر فعلتي

قرب وجهه ليطبع قبلة على خدي

إلا أنني أبعدت وجهي

المحدق للأعلى

لجانبي الأيسر

و أغمضت عينيّ خوفا

" كما تريدي "

و نهض و خرج من الغرفة بأكملها

.....

هذا ما توقعته و حدث

في الصباح عصبية النيران تتصاعد من رأسك و في الليل رقيقة و دافئة للغاية

هذا ما كنت أخاف منه أن تستيقظي بمزاج آخر

و ها قد حدث

لما تفعلين هذا بي

ألا تعلمين مدى العذاب الذي أذوقه على يديك

لا لا لا هل كان كل شيء كذب البارحة

حلم و انتهى

و عدت للحاضر البائس

حملت نفسي و خرجت خارج المنزل

دعها تفعل ما تشاء

لكني لا أفهمك

ماذا يجول بعقلك

أصبحت غريبة

لقد تغيرت تماما

لم تبقي وسام التي كنت أعرفها

فتاة أخرى

فتاة تعذبني و تقهرني

أحبكَ .....لا تبتعد عني..... لا تتركني ....أنا وحدي

أحبكَ

أحبكَ

هل بادلتني الكلمة فقط

هل كانت كلمتك خالية

من أية أحاسيس

لماذا

لماذا يا وسام

.....

يا إلهي ماذا سيحدث بعد هذا

كيف فعلتها يا غبية و سلمت نفسك له

لقد أغراني

بل خدعني

لم أكن لأفعل ذلك وحدي

هو من كان يقبلني

تشبثي برجل مناسب حين تجدينه لأنه سيخرجك من بؤس إن وقعت فيه

ليس هو مستحيل أن يكون شخص مثله

حقير

أنت حقير

لقد استغليت ضعفي

أنا ضعيفة و وحيدة

يا الله

أحبكَ

أمسكت برأسي

أريد أن أحذف كل شيء من ذهني

لا لا

أنا لا أحبه

أنا أكرهه

أكرهه

أحبكَ

أحبكَ

أحبكَ

بقيت تتردد الكلمة في ذهني

رأسي كاد ينفجر

أنا لم أقل له هذه الكلمة

لم أقلها له

هذه الكلمة بالذات

هو لا يستحق أأن يسمعها

لا ينبغي أن أسمعها

لم أكن بوعيي لقد خدرني

ربما شربت من السم الذي يشربه

ربما كنت ثملة لا أعلم

ربما

و لكن ألا يكون المرء صادقا في حالة الثمالة

جلست على الأرض و أخذت أبكي على غبائي

أين أوصلني

أين أين

سأدمر ذاتي

أنا أتدمر شيئا فشيئا

.....

" يمكنك الخروج .....متى أردت أنت بصحة جيدة "

" ماذا بالنسبة لعلياء "

" هي بصحة جيدة .....تبقى مشكلة فقدان ذاكراتها .. لا ندري إن كانت ستتقدم من النقطة التي توقفت عندها .... أو ستبقى متشبثة عندها "

" يعني إمكانية أن تعود لها ذاكرتها كاملة تبقى فرضية .....ماذا إن حاولت أن أخبرها "

" . .. إن حاولت إجبارها على التذكر سيؤثر على دماغها "

" ماذا تقصد ستبقى معلقة بين الماضي و الحاضر "

" هل حاضرها مختلف كثيرا عن ماضيها ؟ "

" كثيرا ..لهذا أحتاجها بذاكراتها كاملة "

" و أنت يا سيد عمران هل ماضيها أو حاضرها .....إن كنت حاضرها أنصحك ألا تجبرها على التذكر ..... و نحتاج إلى شخص مهم في ماضيها ليساعدها على التذكر "

" حسنا "

.....

توجهت للشركة

لم أجد مكان أفضل منه

ربما كي أن أنعزل بين تلك الأربع جدران البائسة مثلي

" لا تدخلي أي أحد إليّ "

" حسنا "

ولجت مكتبي و رميت نفسي على كرسي

و أنزلت ستار النافذة و أظلمت الغرفة

و وضعت رأسي على سطح المكتب

و أغمضت عينيّ

أريد أن أهرب مما أوقعتني فيه

و لكن عقلي و قلبي يقودان لتلك الليلة لا تزال محفورة

حاولت أن أتجاهلها

أن أفكر في شيء آخر

لكن قلبي معلق بها

استسلمت لأفكاري

و أخذت أتذكر الليلة التي قضيناها في أحضان بعضنا

كانت ليلة جميلة

كم قلبي زاد عشقا لك بعدها

زاد طمعا في حبك

.....

لم أخرج من غرفتي

لا أعلم إن كان بالبيت أم بالخارج

كل ما أعرفه أنني لا أريد أن ألقاه

أخشى أن يطمع في أكثر من ليلة

الساعة السابعة ليلا .....

أسرعت في إغلاق باب غرفتي ما إن سمعت صوت الباب الخارجي

أظن بأنه قدم

لا أعلم إن كان هو أو لص أو أيّن كان

المهم دخل شخص البيت

لا لا

بل أكثر من شخص

سمعت بعض البلبلة الصغيرة

ثم إذا بمقبض باب غرفتي يدور

و يتوقف معلما بأن غرفتي مغلقة

تلاه طرقات خفيفة

" وسام ....حبيتي "

أوه لقد كانت كنزه

لكن ماذا تفعل هنا في هذا الوقت

فتحت الباب و سلمت عليّ

" لما أنت موصدة الباب بالقفل ؟ "

" كنت ..ـــــأأ.....كنت أغير ثيابي "

.....

جاء علي و كنزه

هذان الثنائي جنوني

كما أن علي أصبح مجنون ضعف جنونه منذ أن تزوج كنزه

جاءت كنزه و معها وسام لم أنظر ناحيتها و لا أريد أن تتلاقى عينيّ معها و سأتفاداها بقدر ما أستطيع ،

" في رأيكم لماذا أتينا في هذا الوقت "

صمتنا صمت الحيرة

" خمنوا قليلا ..... هيا وسام "

" لا أملك أدنى فكرة "

" لقد ذهبت للطبيب مع علي "

" ها .... عرفتما جنس الجنين "

أومأت برأسها

فيما سمعت شهقة السعادة تصدر عن وسام

" حقا . ما .....هو "

" خمني ..... في رأيك ..." ثم نظرت نحوي " هيا وليد أنت أيضا ؟ "

" قلت بحيرة " لا أعلم ... هيا قولوا

" قال علي " هيا يا رجل يوجد جنسين فقط اختر

" ثم نطقت تلك الفتاة " ولد .... أحس بأنه ولد

" كنزه بدهشة" يااه ..... أصبتها يا ذكية

" ليس ذكاء .... بل الحاسة السابعة "

" السادسة يا عبقرية "

" لا بل السابعة ..... لدي حاستين حديثتين "

" و ما هما يا جميلة "

" السادسة هي أنني أستطيع أحس بالكوارث الإنسانية مثلك "

ضربت كنزه كتف وسام فأطلقت الأخرى ضحكة عالية

" أما السابعة تعرفتم عليها الآن "

غيرت كنزه نبرتها " ننتظركم أعزائي المتابعون في الحاسة الثامنة ..... فقد تنبأ علماء الفلك بقربها "

" هاي أنا لا أتكلم هكذا "

" بلا يا طبل "

" لست طبل يا كنزه الصوف ..... بل أنت من أصبح كذلك "

و أشارت لبطن كنزه الذي بدأ بالظهور

" أووف ..... هل سنبقى نتابع شجاركما أم ماذا "

" علي أحسن لك أن تساعدني عليها ..... أنظر أصبحت لا أقدر لها "

" هههه مجنونتان "

" قالت وسام " لاه ....لاه .....لاه ..... أنا الحمد لله بخير .....أنظر لزوجتك

"" ما بها زوجته "

هاي يا فتاتان ... أتعلمان بأن المصحات العقلية كثرت .... لذا ما رأيكم أن نضعكما في مصح " واحد أو كل فتاة في مصح "

كشرت الفتاتان في وجهه

.....

تحدثنا و ضحكنا كثيرا

و كلما تلتقي نظراتنا أنا و هو نتوتر

بعد أحاديث طويلة و عريضة قررا الذهاب

بعد أن ظننتهما سيبيتان

أغلق الباب و عاد ثم مر بالأريكة التي كنت جالسة عليها و أخذ هاتفه و التف عازما على التوجه لغرفته

لم ينظر ناحيتي إطلاقا

و كان يتجاهلني

بطريقة تجعلني

أخجل من نفسي

كان ذاهبا حينها أمسكته من ذراعه

" أنا آسفة "

بقي صامتا و لم يلتفت إليّ

" أنا جد آسفة "

" لما تعتذرين ؟؟ "

" على ما حدث ليلة البارحة "

لا تعتذري ... أنت كنت مرهقة نفسيا ...و همومك كثرت ..و حدث ما حدث لتنسي همومك .... لا أكثر "

.....

لم تفعلين هذا بي

هل تسعدين لهذه الدرجة بأن تجرحيني

أعلم بأن ما فعلته لكي

لم تجتازيه بسهولة و كان صعب جدا

و لكن كنت أتعذب ببعدك

و لكن الآن بت أتعذب أكثر بقربك مني

" قال لي " أخبرتك ... بأنني وحيدة و لا أريدك أن تتركني

يا إلهي ما بك

هل تدعين الجهل بأنك لا تعرفين لماذا أبتعد عنك

أو لم أجهر لكي البارحة و قبل البارحة و كل يوم

عن كل ما يجول في قلبي

..لكنك

غريبة

عنيدة

.....

صرخ في وجهي

" لم تفعلين هذا ..... و تدعين الجهالة ...بأنك تجهلين بأنني قد بت أتعذب بما تفعلينه بي "

كنت أنظر بهلع إلى قسمات وجهه الصارخة

" ..... البارحة .و كل ما حدث أننا تبادلنا أحضان قبلات لا مشاعر "

" ..... أخذ نفسا عميقا و تابع " لم أجبرك أن تبادلني أكثر من ذلك لكن أنت

" ..... نسف للخارج " ماذا تريدين .. تريدين أن توهميني شيئا آخر .....شيئا ليس موجودا

" لأقل لك ..... أصبحت ترعبينني مما يجول في باطنك "

كنت مدهشة مما يقوله

أنا ليس مثلما يقول

أبعد بعنف يدي اليمنى التي كانت متشبثة بيده

فيما يدي اليسرى أخذت أخفض من ضغطها على يده

و هو التف ليوليني بظهره و يدي بدأت تنسحب

و تنساب من ذراعه ليده

التقت أصابعنا

أردت أن أتشبث بها

لأني إذا تركته أصابعه يعني تركت يده

و تركته يبتعد عني

تشبثت بأصابعه بالقوة التي أوتيت

" و قلت بخفوت مؤكدة " أنا حقا بادلتك المشاعر البارحة

ثم حين أحسست بأنه التفت صوبي

رفعت وجهي المطأطئ للأسفل

" و قلت بصوت سيجهش بكاء " و الآن

أنزلت رأسي مرة أخرى لأني ليس لي قدرة على مواجهتي الأمر الواقع

اقترب مني أكثر حتى أصبح بيننا خطوة واحدة

و أمسك ذقني و رفع وجهي للأعلى

و رفعت نظراتي إليه للحظة و هربت بها ليديّ المتشابكتان

" نزلت دموعي و قلت " أنا خائفة

" من ماذا ؟ "

" خائفة من أن تتركني أو أن يحدث لك شيء "

" كيف ؟ "

". لأن كل من أخبرته بأنني أحبه و أحتاجه في هذه الحياة "

" رفعت نظارتي إليه " ذهب و تركني ..... أمي ..... بابا ..... فيروز ....كلهم

تعدى تلك الخطوة و ضمني

و وقعت أسيرة حضنه

ربت على شعري

" لا تخافي .أنت كوني معي و سيحدث كل خير "

أجهشت بكاء في حضنه

.....

أمسكت بوجهها و طبعت

قبلة على شفتيها اللتان لا أشبع منهما

و أخذت أنظر إلى ملامح وجهها الهادئة

" همست لها " أحبك

لا أدري إن كانت سمعتها أو لها ؟

أظن بأنني حركت شفتيّ فقط

ابتسمت ابتسامة

و رفت رأسها نحوي

و بقرب أذني

" أحبك "

آه حبيبتي

كم كنت أتمنى أن أسمع هذه الأحرف منك أنت

وحدك من يهمس لي بها

كم خفت كثيرا أن لا أحقق أمنيتي

القديمة و الأبدية

طوقت بذراعي فخذيك

و بالأخرى صدرك و حملتك

فيما أنت حوطت رقبتي بيديك

و أدليت برأسك على صدري

أنت لي

كنت منذ صغري لي

و إلى الآن لا تزالين

و أنا لم أكن لأقربك غصبا عنك بعد كل ما حدث

لأني لا أريد أن أجبرك على شيئا بعد الآن

.....

كنت بين أحضانه الدافئة

هو لطيف معي

لا أعلم لم فعلت بي كل هذا

في البداية ظننته كره

لكن أنت و تصرفاتك تثبت لي العكس تماما

أحبك

أحبه و لا أحد سيمنعني من أن أحبه

لم يبقى لي أحد سواه

هو فقط

.....

إن كانت ستستيقظ و تصبح فتاة أخرى فلا أنا أريد أن أستيقظ أبدا

و أريد أن أبقى غارقا في ليلة البارحة

بدأت تستفيق

الله يستر من القادم

نظرت نحوها

أنتظر ردة فعل منها

قوست شفتاها على شكل قبلة.....

" صباح الخير "

امتدت يدي نحو وجهها

و لامست وجنتها المتوردة

" صباح الخير حلوتي "

طبعت قبلة على يدي

و دنوت منها و أخذت جسدها العاري بين أحضاني

رفعت رأسها نحوي

و قبلت شفتاها

.....

استيقظت لأرى وليد ينظر إلي

قوست شفتي أمازحه

و اقترب مني و حضنني

أصبحت أحبه بجنون

كان من قبل يتحرك داخلي إحساس

هدأ منذ سنون

لكنه عاد يهيج كعاصفة جبارة

كنت أنظر إليه

إلى عينيه

" ماذا ستفعلين ؟ "

" ..... ماذا ؟ "

جلست و أبعدت المفرش

"هل أعد الفطور ؟ "

ضحك و جلس بجنبي

" وضمني " دعك منه

" هل أنت مصمم على الصيام "

" ها "

" متى نويت...؟... الآن "

" أم "

"نية الصيام تكون قبل الفجر ....و أنت؟ "

"و متى نويت أن تثرثري ..... قبل الفجر ..... ها ؟ "

" ضربت كتفه " لا يا ذكي

بدأت أعتاد على الوضع الجديد

و أظن أنني تأقلمت بسرعة

.....

كانت تحضر الفطور

فيما أنا أراقبها

" فيما أساعدك "

" لا شيء .وإن أردت أحضر العصير من الثلاجة "

" حسنا "

و أنا أخرجه و أدفع باب الثلاجة

" باستهزاء " انظري .مضى قرابة العام و نحن متزوجان و الآن فقط سنفطر معا

"بهدوء " أم

فيما أنا أضعه على الطاولة

سمعت شهقتك

" دنوت منك فرأيت دموعك تنزل " وسام .....ما بك

" ..... ضممتها " أو تنظر أن الأمر كان بيدي

" حسنا عزيزتي .....اهدئي "

.....

" في رأيك ماذا سيحدث لعلي و كنزه حين يعرفون بالمستجد "

" غمز إليّ " و ما هو المستجد ؟

كشرت في وجهه

" و قلت " لا شيء

" حين تعلم كنزه ..... ستركض وراءك بالعصا "

" لا .و هل ترى كنزه خريجة حبوس "

" هههه ..... إنها لا تترك فرصة إلا و تضايقني "

" كلا .هي تفعل ذلك مزاحا ..... مرة كانت تدافع عنك أمامي فنهرتها "

" بخصوص ماذا ؟ "

" نظرت له باستحياء " بخصوص شربك للخمر

.....

ابتسمت لها " الخمر .....الجنس .....عدة كبائر تبعتها بعد ما تركتني وحيدا غارقا في هموم ....." لجأت و تبعت شياطيني

" لماذا .لم تتبع ضميرك ..... الجزء النقي فيك "

و أشارت بإصبعها لقلبي

" كان نعسان فعاد لسباته القديم "

أطلقت ضحكة جميلة

" أيقظه "

" ساعدني .....أيقظيه معي "

" نومه ثقيل ....ضميرك..... يقضوه شخصان "

" قلت لك بأنه في سبات "

آآه "أطلقتها استنتاجا "

.....

كنت جالسا في حضنه فيما هو ممسكا الهاتف يتحدث

وضع الهاتف على السماعة

" مرحبا "

" مرحبا علي "

" ها.... ما الأخبار ؟ "

" كل الأمور تمام .....و أنت ؟ "

" أنا ؟ .....رائع "

ضحكت عليه كيف أخرج كلمة *رائع*

كنت أقوم بقرصه من لحيته

فيما هو يضرب رجلي برجله حين أألمه

" أنت أين ؟ ..... صوت من هذا "

" صوت لا أحد "

"" بلا سمعت ضحكة فتاة ..... هاي هل أنت مع فتاة يا رجل"

" لا "

" آه ..... لا تزال تعاشر الفتيات "

فصلت الخط في وجهه

نظرت لوسام

" وجدتها تكشر في " تعاشر الفتيات .ها ؟

و أبعدتْ يدي التي كانت تطوق خصرها

في لحظة كالبرق طوقتها بسرعة و ضممتها

و قيدت حركتها

" اتركني "

" ما بك ؟ "

" تعاشر الفتيات إذا "

" لا لا توقفت "

" تابعت مبررا " أقسم لك بأنني منذ أن تزوجتك توقفت

" و تقسم أيضا .ماذا عن سلمى .ها ؟ أخبرني "

" نظرت إليّ تنتظر إجابة " لم أكن بوعيي

" غيرت نبرتها " لم أكن بوعيي يايا

" أنت أصلا دائما مصروع.... و طبل و لا تفهم "

" ها .... أصبحت أنا الطبل "

" إذا من ؟ "

" سأسأل كنزه و ستقول لي من الطبل "

قربتها مني و قبلت خدها

.....

" ما بك ؟ علي "

" فتاة ....صوت "

" علي .....ماذا هناك ؟ مع من كنت تتحدث "

".. مع وليد "

" إذن "

" سمعت ضحكة فتاة و أنا أتحدث معه "

" صرخت كنزه " ماذا .....صديقك أكبر..... أكبر خائن

" تابعت " أليس متزوج من وسام

" لكن ليس بينهما شيء"

"..... و إن يكن ....الم يبرر فعلته الشنعاء بأنه يحبها .....و إذا كان يحبها يخونها .... يا الله "

" تمتمت لوحدها " ضحكة فتاة .فتاة

.....

في اليوم الموالي

حيث كنا جالسين أمام التلفاز نشاهد فيلم و

و وسام في حضني

تتناول الفشار

في الحقيقة وسام تحب الأكل و تأكل كثيرا

و ليست سمينة

منذ أن كانت صغيرة وهي هكذا

عيناها منذ أن بدأ و هما مثبتان عند الفيلم

على عكسي أنا لم أكن مركزا معه

كنت ألعب بشعرها ألف خصلة منه على إصبعي

أقربه من أنفي أشتم رائحته العبقة

إلا أنها ساهية مع الفيلم

شددت خصلة و أخذت أزيد قوة شدي ببطء

" آي "

وضعت يدها على فروة رأسها و نظرت نحوي بعبوس

" هاااي .....آلمتني "

" حقا "

" لا أنا أدعي عليك "

" ههه ..... أنت جد مركزة مع الفيلم "

" و هل شغلت التلفاز لكي تشاهده الأريكة..... أصلا مع من تريدني أن أركز "

" مثلا.. .معي "

التفت للتلفاز و على وجهها ابتسامة جميلة و

و رأيتها تغض شفتها السفلى

ثم دنت مني بلحظة كالبرق و قبلتني على خدي

و هربت بنظراتها للشاشة

حين أقبلها أنا

أستغرق مدة طويلة

أحب أن أتلذذ بحبها

إلا أنها سريعة كالرصاص

حينها سمعنا الجرس يدق ...

" نظرت صوبها " من قد يكون ؟

" نظرت إليّ و هي تمضغ " آآآ . كنزه "

و قامت كالمجنونة من الأريكة و حملت الصحن الحاوي للفشار و وضعته تحت الأريكة

و أطفأت التلفاز و ضربت على الأريكة

لتمسحها من فتات الفشار عليها

خرجت واضعة خمارا على رأسي.....

لأراه

يفتح الباب

و بالطبع

كنزه و علي

دخلت كنزه مكشرة

كعادتها التي ظننا في الآونة الأخيرة أننا تخلصنا منها

جلسنا على الأريكة و كل واحد منزوي في جهة .....

" نظرت كنزه صوبي " ها .سيد وليد أين كنت البارحة

" عقدت حاجبيّ تساؤلا " لماذا ؟

" قالت بعجرفة " لا شيء .. أحببت أن أتطفل عليك ..و على حياتك العاطفية

زاد تساؤلي و التفت تلقائيا لوسام و أشرت لها متسائلا و أشارت بعدم معرفتها

ثم انفجرنا أنا و هي ضاحكين

نظرت كنزه صوبي ثم صوبها

"..... و قالت " تضحكان

" وليد لم لا تطلق وسام "

" بحيرة " كنزه ما بك

" الحمد لله .....لكن قلي لأي سبب تبقيها عندك وزوجتك "

الله يستر من هذه الفتاة

" أليس كذلك يا وسام تريدين الطلاق .ها أخبريني "

نظرت لوسام إليها ثم نحوي بحيرة

أطلقها

كيف ما أنا أحس بأنني البارحة فقط

تزوجتها

" قال علي " و أنت ما شأنك .انظري وليد صبورا عليك .لكن لا تتجاوزي حدودك

" بلا .....شأن صديقتي هو شأني "

" أطلقها ؟؟ ما أنا قبل يومين فقط تزوجتها "

"نظرت إلي" بتساؤل " ماذا ؟

" ثم نحو وسام " ماذا يقول ؟ .هل جنّ

ابتسمت لها بل ضحكت

" ..... قالت محذرة " هاي يا فتاة ..تريدين الطلاق

"صرخت " هيا قولي

" نظرت نحوي " هيا طلقها

" قالت " قل ..أ..نـ .ت ....طـ ...ـا...لـ ...ق ..... هيا قل

قمت من مكاني و اتجهت نحو أريكة أخرى

حيث تجلس

وسام

جلست ملتصقا بها و ضممتها بقوة و طبعت قبلة على خدها و نظرت إليها

لأجدها تبادلني النظرات و هي مبتسمة

ثم نظرت نحو كنزه لأجد فغر فاهها متسع

" سألتها" ها؟؟

" يا فتاة .....ماذا قصد قبل يومين تزوجتما "

نظرت وسام نحوي مبتسمة ثم نحو كنزه

" معناه ...أننا قبل يومين تصالحنا "

" آه يا أمي ..... ماذا ..علي أمسكني أجلسني "

" أنت جالسة يا روحي "

" تابع علي " ألف مبروك سعدت جدا لكما

".... قالت كنزه " ماذا أقول لكما

".. حقا تريدون معرفة الحقيقة .أجدكما... أنتما الاثنان متلائمان منسجمان"

" تابعت "..إذن...مبروك

" إذن أنت من سمعنا ضحكتها في الهاتف "

" ضحكت و قلت " ها ....هي

.....

" سيدتي .....دخلت سيارة غريبة لساحة البيت "

" من ؟ "

" . لا أعلم "

"حسنا ..... سأرى بنفسي "

اقتربت من الشرفة لأرى سيارة تتوقف و يخرج منها رجل مرتد بدله رسمية

لا مستحيل

مستحيل أن يكون هو

ليس هو

أنا مخطئة

عمران

.....

ترجلت من السيارة

و بخطوات هادئة

دخلت البيت الذي تركته منذ 6سنين

رأيت تلك المرأة تنزل من الدرج بخطوات غير ثابتة

تقدمت

فيما هي تتمسك بالأريكة

" قالت " عمران

" مرحبا سهام .كيف حالك "

" كيف حالي ..... هل حقا تسألني "

تابعت " برأيك كيف يكون حال امرأة عاد زوجها بعدما ظنته مات ... عاد بعدما هرب مع .....مع "

" قطعت كلامها " اهدئي

" مع عشيقته "

" كفي عن افتعال المشاكل في أولها "

"افتعال المشاكل ؟ ..... لا أعلم بأي عين وقحة قادم لهذا البيت "

" لا تنسي أنه بيتي و ملكي .....لذا لا تتجاوزي حدودك "

نزلت دموعها و وضعت يدها على فمها لتكتم صوت بكائها

و صعدت الدرج جريا

.....

كنت لا أزال في الفراش مع وسام

على الرغم من أن الساعة تقارب 12 صباحا

كانت وسام لا تزال نائمة

حينها رن الهاتف

" مرحبا أمي "

" جاءني صوتها باك " ابني

" قلت بتوتر بالغ اجتاح صوتي فجأة" خيرا أمي .... ما بك

" ابني .تعال "

" حسنا حسنا .أنا قادم لا تقلقي "

أغلقت الخط

و نزلت من على السرير

و توجهت للخزانة لأستخرج ثيابي

حينها رأيت وسام تستيقظ

نظرت للجانب الذي كنت نائما عليه

ثم رفعت ناظريها نحوي

" و قالت و هي بين الصحوة " صباح الخير .....حبيبي

صباح الخير " قلتها و أنا أرتدي سروالي بسرعة "

رفعت جسدها و هي تنظر نحوي

كانت ممسكة بالمفرش عند صدرها

" خيرا .غلى أين ؟ "

" إلى أمي "

" هل الأمور تمام "

" لبست قميصي و أما أسرع بقدر ما أستطع " بخير

اقتربت منها طبعت قبلة سريعة على شفتيها

" و قلت " اللقاء

" قالت بحيرة " باي

و هرعت لأرى ما بها أمي

لأن صوت بكائها كان مريب

.....

دخلت و وجدت أمي تنتظر ي أمام الشرفة

و حينما رأتني دخلت

صففت السيارة

و دخلت شبه جريا حينها وجدت أمي

كانت عيناها باكيتان

ضممتها

" ماما ما بك ؟ "

" وليد .....والدك "

" بابا ؟ "

رفعت ناظري عن أمي لأرى ذلك الرجل

جالس على الأريكة

ببنيته و ضخامته

و حضوره

من

أبي

.....

رأيت ذلك الشاب

الذي لم يتغير لا تزال ملامحه مألوفة و على حالها

لم يزداد إلا رجولة

أعلم أنه لن يستقبلني استقبالا حارا

بعد أن رأى الدموع في عينيها لن يرضى

لكني لا أبالي به و لا بأحد

اقترب مني

و وصل على مستوى الأريكة التي أنا جالس عليه

قمت و قابلت نظراته الحادة القوية بأخرى هادئة ثابتة

قال وهو يكز على أسنانه

"ما الذي أحضرك ؟ ..... ألم يأخذك الأجل "

" ليس بعد"

" ماذا تريد منا ..... هل تركتك عشيقتك و خانتك أنت أيضا "

" رديت بهدوء " أحفظ لسانك .. لا تنسى بأنك تكلم والدك

" رد باستهزاء " والدي . ... أي والد أنت .....أي زوج أنت ..... ها .أخبرني ؟

" تابع بصراخ " زوج خان زوجته و ترك ابنه ليركض وراء عشيقته

قلت محذرا " إياك أن ترفع صوتك مرة أخرى في وجهي ..... و أما عن الخيانة خنتك أنت .... أظن " أن الأمر لا يعنيك .لذا لا تتدخل

" لا أتدخل . حقا ؟ "

" ..... كان يشير بيده نحوي " أتدخل و لتفعل ما تقدر عليه ..... تخون أمي و ماذا تنتظر مني

" هل سأستقبلك بالأحضان ؟ ..... أصلا كيف تراءت لك جرأتك و أحضرتك إلى هنا "

" ألم تجد مكانا آخر تنشر حقارتك فيه..... بعيدا عنا "

.....

حين رأيت ذلك الرجل

و أدركت أن دموع أمي تنزل بسببه

أصبحت كالمجنون

كالثور الهائج

شيء واحد شدني ، هو أنني أحمل اسمه

لا يزال اسمه أبي

لكنه أحقر رجل شهدته في حياتي

"ألم تجد مكانا آخر تنشر حقارتك فيه ..... مكان بعيدا عنا "

لا تنسى أنك أنت { و أشار لي } و أمك { و أشار للمرأة الباكية عند الزاوية } تعيشون في " " أملاكي ..و من شركاتي.....و أنا لن أمنعكم ...لكن لا تتجاوزوا حدودكم معي

حقا؟.....لا تنسى بأنني شركتك أعمل فيها كأي موظف عادي ..... لذا لا أنا من سأقول لك لا " " تتجاوز حدودك معي و مع أمي

رمى نفسه على الأريكة

و رمقني بنظرات حادة

لكنني لم أتوانى على مبادلته

نظرات الاستحقار و الحقد و الكراهية

.....

صعدت مع أمي لغرفتها

لأهدئها و أخفف عليها

لأني أعلم بأن عودة أبي لن تكون بالأمر الهي|ن عليها بعدما حدث

لكن ما هو السبب الذي يجعله يقدم بعد هذه السنين الخمس

وماذا عن حادثة تحطم طائرة خاصة بعد اصطدامها بسرب طيور

.....

منذ أن غادر وليد متوترا صباحا لم يعد إلى الآن

أنا جد قلقة عليه

الساعة الثامنة مساءا حتى الآن لا اتصال و لا رسالة

وليد

أوف كيف تتركني قلقة هكذا

على القليلة اطمئني عليك برسالة

كتبت إليه برسالة

" *وليد هل الأمور تمام ، اطمئني عليك حين تقرأ رسالتي* "

انتظرت و انتظرت لا جواب ...

فضولي يكاد يقتلني لأعرف كيف هو حالك ؟

هل أنت بخير ؟

أتمنى أن تكون كذلك

.....

كنت في غرفتي أمي التي بدأت تهدأ

و التي لم تتوانى عن كره و نعت و لعن حضرة الحقير عمران

" ..... لماذا عاد ..... ألم يهرب مع تلك الحقيرة "

" تابعت " ألم يخني معها ..... خائن حقير ...ليتك مت حقا.....و ذهبت للجحيم

" اهدئي ..... يا أمي لا تقلقي أنا معك .....لكن لم عاد "

"..... لا أعلم "

"..... قالت باستهزاء "طبعا لم يعود من أجلنا ..... لا من أجلك .....و لا من أجلي

" حسنا اهدئي .....و نامي ....لكي أذهب لبيتي "

نظرت نحوي بريبة " و لم تعود للبيت ...لتقابل وجه تلك المنحوسة .ابني إنها لا تحبك ..و دائما ما تتشاجر معك و تشتمك ..... كيف تتحملها "

"... قلت بهدوء "أمي

" نعم "

"أنا و وسام تصالحنا .....و حالنا كأي زوج و زوجة "

" ماذا تقصد ؟ .....بعد كل الذي حدث "

" بحزن اعتراني " ها .بعد كل الذي حدث

" توترت " بني لا تصدقها ..... قد تكون تضمر لك شرا .....أنها كاذبة مثل أمها

"..... .بحدة " أمييي

أولا هي ليست مثل أمها ...و ثانيا إياك أن تتهميها بأي اتهام باطل .....و في ألأخير تصالحنا ..." "و انتهى كل شيء على خير

" خير إذن قلت "

" تابعت بضيق " أوف يا بني منك .....أنت مخدوع بها

" ..... نامي نامي "

.....

كنت أمام الباب

ذهابا إيابا

و التوتر يكاد يقتلني أين أنت يا وليد

حل الليل و أنت

إلى الآن لا خبر

سمعت صوت المفاتيح التي تفتح الباب من الخارج .....

و دخلت أنت

أوه و أخيرا

كان باديا عليك الضيق و التوتر

و البعض من الأحاسيس السلبية الممتزجة

التي أجهل سببها

" لا تزالين مستيقظة "

" اقتربت منه و ضممته وقلت " و هل أمكنني النوم و أنت في الخارج

أبعدني عن حضنه و بقيت يداه تحوطان خصري

اقترب مني و قبلني على شفتي بسرعة

" ما بك ....هل الأمور بخير "

رفع رأسه المحدق فيّ للأعلى

"و نسف " أففففف

أدركت أنه ليس على ما يرام

وضع جبهته على جبهتي

" و قال بضيق " نتكلم لاحقا

و أمات له بعينيّ إيجابا

.....

جلسنا على الأريكة

كانت وسام محتضنتن كأنها تخاف أن أهرب

كانت في غاية التوتر

و أعلم أنها فضولية و تريد أن تعرف ما الأمر

لكنها تدعي غير ذلك

كانت تلمس وجهي بإصبعي ثم دنت و قبلتني ...

أدرت وجهي الذي كان باتجاه التلفاز المنطفئ لتلك التي تنظر نحوي منذ أن جلسنا

و ابتسمت لها

" أتعلمين من الذي قدم للبلدة "

" نظرتي إليّ بحيرة "من ؟

" عمران *ألسلامي* "

" افتعلت ضحكة و قلت باستهزاء " أبي

" أهذا ما يضايقك منذ أن عدت ..... و جعلك تتأخر "

"..... طبعا سيضايقني ..... هل سأسعد برؤيته مثلا "

" تابعت " خائن مثله ..... دمر قلب أمي .....لن أسعد برؤيته أبدا

" قالت بحزن" معك حق

دنوت من رأسها و طبعت قبلة عليه

"..... لا أعلم لم عاد ..أو ماذا يريد .....أو ماذا سيحدث "

" لا أعلم "

" تفاءل خيرا تجده حبيبي "

" إن شاء الله "

" إن شاء الله "

لم أتوقع أن بعد كل هذه السنين قد يعود والده .....

ألم يمت ربما على يبدو أنه حي

لكن ماذا عن المرأة التي كانت معه

هل نجا وحده

طبعا لن أسأل عنها أحد

لا وليد و لا علي و لا كنزه

فطبعا أن البلدة ستنتشر فيه الأحاديث و الكلام

بعد عودة عمران *ألسلامي*

.....

اتصلت بسلمى

لأعلمها بالجديد البائس و المخزي

" هاي خالتو "

هاي "قلتها بحزن و بؤس شديد "

" خالتي .ما بك هل أنت بخير "

" لا لست على ما يرام "

" ماذا حدث ؟ أخبريني "

" عمران ..... عاد "

" ماذا ..... هل تمزحين "

" كلا "

" هل خرج من قبره "

"لم يمت لم يغادر هذه الحياة ..... عاد و لا يزال حي يرزق "

" خالتي لا تبالي به ..... و لا تعتبريه أنه موجود "

" حسنا "

"هل آتي إليك ..... أؤنسك.....اشتقت إليك ..... أرغب في أن أزورك "

" ربما حين تعلمين ما المستجد الثاني ..... تتغير رغبتك "

"خالتي .....أرعبتني .....أخبريني ما الأمر "

وليد "ما كدت أن أنطق باسمه حتى صرخت "

" وليد .....ما به ..أخبريني ...أرجوك يا خالتي "

" لقد أصبحت أموره هو وسام ...على ما يرام "

" ماذا ؟ .....مستحيل "

و أجهشت باكية

رأيته خرج من غرفته و نازل ...

اعتراني فضول في أن أعلم أين العزم

ألا يخجل من أن يعود للمدينة و يتجول فيها بكل عين وقحة

" إلى أين العزم ..... خيرا "

التف إلي " هل تحتاجين شيء "قالها باستنكار

تذكرت حين كان يسألني قبل أن يخرج من البيت

" لا أعلم كيف ستخرج من البيت و ستتجول بدون خجل "

" أظن الأمر لا يعنيك يا سهام "

و تجاهلني و غادر

.....

دخلت للشركة و رأيت العمال يتهامسون و م ينظرون نحوي

و البعض مجتمعون يتحدثون

حينما رأوني

عاد كل واحد منهم لعملهم

وصلت لمكتبي

سألت السكرتيرة قبل أن أدخل

". خير ا .....ما الأمر ... لم الكل. مجتمعون و يبلبلون "

" سيدي إنهم مدهشون بعودة السيد عمران للشركة "

" هل هو في المكتب "

" نعم سيدي ..... إنه في مكتب المدير "

يا إلهي بأي عين وقحة قادم للمدينة و للشركة

لا أنكر بأن كل هذا أملاكه

لكنه

أوف

اللعنة عليك و على اليوم الذي قررت فيه أن تعود إلى هنا

.....

فيما أنا غارق بين أعمالي

وصلني اتصال من هاتف المكتب

" نعم "

" سيدي ..... السيد عمران يريدك في مكتبه الآن "

" حسنا"

ماذا تريد مني

لا أريد أن أراك أو أن أقابلك

فكرة أننا في نفس الشركة فقط تقتلني

.....

كنت ملتفا بالكرسي متقابل مع النافذة الكبيرة و موليا المكتب

حينها سمعت أن الباب فتح

و دخل شخص ما

أدركت بأن وليد قد قدم

التففت له

كان واقفا

و يناظرني بحيرة

" تفضل .....اجلس "

جلس و هو محافظ على نظراته

"ها ..... ما الأمر الذي دعوتني لأجله ..... هل ستفصح عن سبب عودتك "

" جيد أنك اكتشفت الأمر بسرعة "

" نعم .....هيا قل .....ما الأمر "

.....

" علياء ..... لا تزال حية "

يا إلهي لا تزال تشغل باله تلك الحقيرة

" حقا فأنت لا تزال تركض وراء عشيقتك ..... يا "

قمت و أنا أناظر ذلك الرجل الجالس و ملامح الهدوء بادية عليه

" و قلت " يا خائن

" افتعل ضحكة و قال " بني لا أحب أن أرد كلمة بكلمة لكن أنت تجعلني أفعل ذلك

" صمت قليلا ثم قال " قد أكون خائن .....لكن لم أظنك بمغتصب

لا أحب أن أتذكر هذا الأمر

أنا و وسام عزمنا على حذفه

عزمنا على حذف المرحلة السابقة البائسة من حياتنا

" تابع " لكن لا يهمك جيد بما أن أمورك مع زوجتك على خير

" ماذا تريد ....هيا قل ولا تراوغ "

"".....بعد ذلك الحادث .... الذي نجونا منه أنا و علياء "

" علياء فقدت ذاكرتها "

" و ماذا تريد حضرتك ..... لتصطفلوا أنتما الاثنين "

" لا لا .. دعنا نتفق .....أريد وسام أن تساعدني .....دع الكنه تساعد حماها "

" لا تدخل وسام في علاقتكما الوسخة "

" لا تنسى بأنّ علياء والدة وسام .....و لن ترفض مساعدة أمها "

كلا لن تساعدكما و لك أن تعلم كم تكره أمها و تبغضها .....و لن أخبرها من الأساس بأن تلك " الفاجرة حيّة .....لذا إنسى الأمر "

.....

خرج و صفع الباب وراءه

وليد وليد

لا أريد أن أجعل الأمور تسيء أكثر من ذلك لكن أنت

تجبرني على ذلك

تتحداني

و لن يفيدك

تحدك لي

لن يفيدك أبدا

ستلحق الضرر بنفسك و وبزوجتك

.....

لن أخبرها بأن تلك الخائنة حية

أنت لا تهمك و لن أخبرك

نحن رائعون بدونهم

يريدون فقط تعكير صفو حياتنا

لن تعلمي وسام

إنها ميتة

...

حين دخلت للبيت وجدت كنزه عنك فقط

أما علي ففي هذا الوقت يكون في الشركة لم ألتق به اليوم بسبب حضرة عمران *ألسلام*ي

" مرحبا كنزه "

" مرحبا "

قلت ذلك و أنا أخلع معطفي و أضعه على الشماعة

و كنت في طريقي للذاهب لأغير ثيابي

فأنا لا أحتمل الثياب الرسمية للشغل

" من وراء الأريكة طبعت قبلة على خد وسام " كيف حالك

"بخير "

. و ذهبت لغرفتي

.....

قدمت عندي كنزه

دائما ما تأتي و نجلس نحكي لساعات و علي يأخذها بصعوبة

تحب أن تبقى معي

تحدثنا حول الهاشتاج الجديد المتصدر العناوين الأولى في البلدة

و هو

عودة عمران *ألسلامي*

.....

منذ عودة والده و هو ليس على بعضه

كانت قد غادرت كنزه فيما هو منذ أن عاد من الشركة و هو في الغرفة

طرقت ثم دخلت

كان مستلقيا على السرير يحدق في سقف الغرفة

كان شاردا

يا إلهي فيما تفكر

ما الذي يوترك للغاية

" بحزن" وليد

" نظر نحوي ثم عاد يحدق للأعلى " ها

اقتربت أكثر و صعدت السرير و استلقيت بقربه

" ما بك .أخبرني "

" لا شيء "

" كيف لا شيء .....أنت لست على بعضك "

" أنا بخير .....فقط.....منزعج بسبب عودته "

" ألا تزال تشغل بالك به "

أبعد ناظريه عن السقف إلى جانبه الأيمن

أي إليّ

" ابتسم و قال " لا يهمني شيء .ما دام أنت معي

و اقترب مني و ضمني

" أنا أيضا ..... ما دام أنت معي "

و طبع قبلة على جبيني

.....

" ..... مرحبا دكتور "

" مرحبا سيد عمران "

" كيف حال الآنسة علياء "

إنها في حيرة ..... خاصة بعد لقائك بها ثم ظنت بأنك ستأخذها لأسرتها ...و ستعلمهم " بحالتها ....و هي جالسة تنتظر "

" لا تقلق بعد مدة سآتي و أخرجها ..لكن لا أعلم كم تقدير هذه المدة "

" حسنا "

" اللقاء "

علياء لا تقلقي ستعود لكي ذاكرتك و ستتذكرينني ...

ستتذكرين حبي لك

ستذكرين

لكي نكمل من حيث توقفنا

.....

غادر وليد

و جلست مع التلفاز

مع قنواته المملة

لا شيء يعجبني

كنت من قبل أقصد حين فترة خصامنا أنا وليد

كنت أعشق الشاشة

و أي شيء يلعب فيه أتابعه

باهتمام واسع

و لكن الآن أصبح مملا

. . .

سمعت جرس الباب يدق

هل يعقل أن وليد عاد

الساعة 12 صباحا

في العادة ينتهي من شغله ويعود للبيت

على الواحدة أو الثانية زوالا و إن كثر الثالثة

فتحت الباب ...

لأرى ذلك الرجل أمامي

بقيت أحدق فيه

إنه هو

إنه والد وليد

عمران *ألسلامي*

...

فتحت لي الباب فتاة عشرينية

إنها هي

تشبه أمها كثيرا

نطقت باسمها

علها تستفيق من السهوة التي فيها

" وسام "

آآ... نعم " قالتها بتوتر و هي تعود لوعيها "

" هل أدركنني "

هزت رأسها إيجابا

" و قالت " أظن ذلك

" هل يمكنني أن أدخل "

" قالت بتوتر و هي تبتعد عن الباب بعد أن كانت صادته بجسمها الصغير " أأ ... تفضل

" أحضرت لي كأس قهوة "تفضل ...

" شكرا "

وجلست مقابلي على الأريكة و هي في غاية التوتر

سأدخل في الموضوع مباشرة

لأنه في العادة

الناس يفتتحون المواضيع

بالسؤال عن العائلة عن المستجدات

لكن أنا عائد من لموت

ماذا سأقول

لا يوجد شيء

..

" أتعلمين لم قدمت "

" هز رأسها نفيا " لا

" إذن لم يخبرك وليد "

وليد ..... ماذا يخبرني "زاد قلقها "

" أخبرته أن يعلمك بالأمر ...لكن يبدو أنه عنيد و لا يفعل إلا الذي في دماغه "

" عمي .....أقلقتني .....خيرا ؟ "

" أمك حية "

تغيرت نظرات القلق للجدية

" حيه .....لكن "

بعثرت نظراتها ثم عادت تناظرني

" ماذا عن الحادث .....كما أن وليد أخبرني بأنها قد توفيت .أي أنك نجوت أنت فقط "

" كلا ..... بل نجونا كلانا .....و أمك الآن فاقدة لذاكرتها "

" ماذا.... .ماما فقدت ذاكرتها .....يا إلهي "

" و هي الآن تظن بأنك لا تزالين في ـ 12 من عمرك "

شهقت ثم وضعت يديها على فمها و بدأت دموعها في النزول

" ثم قالت بصوت باك " ماما

حينها سمعنا صوت جرس الباب

مسحت دموعها و عبس وجهها و قامت تفتح الباب

فتحت وسام الباب....

و رأيتها كان وجهها عبوسا

دخلت و دنوت منها لأقبلها

إلا أنها

أبعدت وجهها

نظرت نحوها بحيرة

كنت سأسألها عن ردة فعلها هذه

إلا أنه حين رأيت ذلك الرجل لم يبق لي ذرة في عقلي للتفكير

" نظرت لوسام و قلت بحيرة " ماذا يفعل هذا الرجل هنا

لم تجاوبني و اكتفت بأن أغلقت الباب

و تحركت نحو الأريكة

لكنها لم تجلس

" ماذا تفعل هنا"

" تابعت و أنا أصرخ " أخرج .....لا أريد أن أراك في بيتي مرة أخرى

" لا تقلق أنا ذاهب كما أنا جئت لأخبر وسام الحقيقة لا أكثر "

"أيّة حقيقة ....هيا اذهب "

بقيت أتابعه بنظراتي إلى أن خرج

ثم التفت لوسام

" كيف تدعين ذلك الرجل ليدخل لبيتنا "

ضلت صامتة و تحدق فيّ

" صرخت " هيا ....قولي

" قالت بهدوء و عيناها تبرقان غضبا " لماذا كذبت عليّ

" ماذا ؟ "

" قالت و هي تعلي صوتها " لماذا كذبت عليّ

"تابعت و بدأت تصرخ " أخبرتني أن أمي ماتت .....و هي حية

" و هل يهمك أمرها .....لطالما اعتبرتها كأنها ميتة .....فما الذي تغير الآن "

" صرخت " بلا..... تغير الكثير

" حقا و ما الذي تغير "

" أمي فقدت ذاكرتها و هي تحتاجني "

" تحتاجك ؟ ..... هل خدعك بكلمتين "

" لا أعلم كيف أصبحت هكذا .....أمي مريضة ....ألا تفهم ..هل أصبح قلبك كالحجر "

" كيف لا تخبرني بأنها حية .....و كما أنك كنت تعلم بوضعها "

و ما الذي يفرق حية أو ميتة ..... كما أنها و هي فاقدة ذاكرة أفضل من أن تكون الخائنة "
" .....وسام إياك أن تنخدعي بهم

" أنت مريض عقليا ....أمي مريضة و تقول لي أن لا أخدع بهم "

" و إن كانت مريضة ماذا ستفعلين "

" ماذا سأفعل؟ .....طبعا سأساعدها كي تستعيدها .....أنا الوحيدة التي أقدر "

" ستساعدينها ؟ "

" نظرت إلي بتحد " ها.... سأفعل

" إذن فأنت طالق "

.....

" كيف تطلقها ..... هل جننت .....و بدون سابق إنذار "

" بلا طلقتها و انتهى الأمر "

" كيف تطلقها "

" تابع " لحظة جنون لا أكثر .... ستعيدها لعصمتك

" لن أعيدها ..... يعني أنه انتهى كل شيء بيننا "

" كم مضى على تصالحكما ..... مجرد شهران فقط .....و خربت كل شيء "

خربت كل شيء إذن أنا من خرب كل شيء ..... هي من قررت أن تتبع تلك الخائنة ...لذا دعها "
" تفعل ما تشاء

" لكن "

لكن ؟ .....لا يوجد لكن .....من قبل حين ظلمتها كان يأكلني التأنيب من داخلي .....لكن "
الآن أنا راض عما فعلت .....لأني لست بظالمها ..... هي من ظلمت نفسها ..... و ستدرك هذا
" جيدا

ألم تدمرك تلك المرأة

ألم تخن والدك

الآن لم تعودين إليها

من أجل تلك الخائنة

أنا أعلم و متأكد من أنك مخطئة

و أنا محق فيما فعلته و فيما طلبته منك

إلى هنا و انتهى الأمر

انتهى كل شيء بيننا عند هذه النقطة و

انتهى

.....

لن أبقى في هذا البيت للحظة "قلت ذلك و أنا أرمي بثيابي في الحقيبة "

" استهدي بالله يا وسام "

تجاهلتها و تابعت جمع ملابسي

أمسكتني من ذراعي

" صرخت بوجهها " ماذا تريدين اتركيني

" لماذا تفعلين ذلك .أنت تدمرين حياتك "

" أدمرها ؟ .....سأدمرها إن بقيت مع ذلك الصخر القاسي "

" لماذا تفعلين هذا "

" أفعل هذا لأنه منعني من أن أرى أمي "

". . . كيف أصبحت أمك .....الم تكن "

" قاطعت كلمتها تلك محذرة بإصبعي و قلت بثبات " إنها تحتاجني .....و سأساعدها

أغلقت حقبتي و جرجرتها

فقد كانت تنتظرني سيارة الأجرة في الخارج

و أنا خارجة بالحقيبة

رأيت ذلك الرجل القاسي

الذي أصبح قلبه كالحجر

أحشت بوجهي عنه بعد أن كان يناظرني بحدة

كان وراءه علي

" حينما رآني توقف " وسام لم تفعلون هذا ؟

" لا شأن لأحد بي و بقراراتي "

قلت جملتي تلك و أدرت وجهي و أكلمت طريقي باتجاه السيارة

دلفت المنزل بعد أن رأيت وسام .....

لقد كنت مصمما أن أترك لها البيت و تقضي عدتها و بما أنها لا تريد أن تقضيها لتفعل ما تشاء لا تهمني

وجدت كنزه جالسة على الأريكة شاردة تأكل أظافرها

" حينها وقفت و نظرت ناحيتي " لماذا ؟ أخبروني فقط لماذا ؟ ..... هل جننتما ؟

باستهزاء" أنا ؟ لا أظن ذلك .لكن هي تتوهم بأن أمها قد عادت لها لكنها لم تعد سوى امرأة خائنة "

دخل علي

هل ذهبت ؟ " سألته كنزه "

" ركبت سيارة الأجرة وذهبت ...إنها متمسكة برأيها "

" لماذا كل واحد منكما متمسك برأيه ..... هل ستدعها تذهب ؟ "

" لتذهب .....لتساعد تلك الخائنة .....لتفعل ما تشاء .....لم تعد تهمني "

" تريد أمها ...إذن فإن كل شيء كان بيننا انتهى "

.....

ذهبت لمنزلنا القديم

حيث ترعرعت و كبرت و حيث تركتك يا أبي آخر مرة قبل أن أراه آخر مرة في المستشفى تحت اسم المتوفى

و هنا تركتني يا أمي

تركتني و هربت مع ذلك الرجل

. . .

الساعة الرابعة مساء حينها سمعت صوت الجرس

وصلت للباب بصعوبة

لقد كنت بإعياء شديد

و أحس بدوخة صغيرة

" فتحت الباب و كانت كنزه قلت و أنا ألتفت و أسمح لها بالدخول " تفضلي

ما بك ألم تسري برؤيتي "قالت بضيق "

جلست على أحد كراسي الحديقة و أنا أتأوه بخفوت

" كلا ..... أنا تعبانه ...و أشعر بالإعياء لا أكثر "

" لا يزال علي أمام الباب .....هل نذهب للمستشفى "

" ها...لو سمحتي "

. . .

ذهبنا للمستشفى و أخبرتني الطبيبة بأنه بسبب سقوط الطفل الذي كان في الشهر السابع و عدم اهتمامي بتغذيتي

كلهم ساهموا في تدهور صحتي

كما قمنا ببعض التحاليل

و عدنا للبيت

. . .

لقد كان البيت موحشا مخيفا

كم تمنيت أن تكون معي في هذه اللحظات يا وليد لكنك ببساطة تخليت عني

لا أدري كيف تنظر إلى أمي

أنا أراها امرأة تحتاج ابنتها

و لأن قلبك قاسي رفضت أن تدعني أن أساعدها إذن لا أريدك في حياتي

وصلني اتصال من السيد عمران . .

" الو ..... مرحبا "

" أهلا "

" آنسة وسام ..... هل أنت موافقة بخصوص أمك "

" نعم سأساعدها "

"لكن بالنسبة لوليد .أأ "

" قاطعته " لقد تطلقنا و انتهى الأمر ...الآن هو لا دخل له في ماذا سأفعل

" حسنا .....لكن متى سأآخذك لترينها في المستشفى "

" لا تقلق أنا تعبة قليلا .حينما أتحسن سنذهب ...كما أنني ...لا أريد أن ألقاها و أنا مريضة "

" متى تريدي ذلك أخبريني ؟"

" حسنا "

...

وليد

أنظر ماذا فعلت

دمرت بيتك

كنت أعلم بأن وسام لن ترفض مساعدة أمها و هي في هذا الوضع الحرج

طلبت منك أولا ، كي أعرف كيف أصبحت تفكر لكن أنظر تدمر زواجك

لكني مدهش من تغيرك

اغتصبت فتاة ثم تزوجتها

و الآن تطلقها

أعلم من أنط لم تكن لتغتصب أيّة فتاة

بل فقط وسام

أنت اغتصبت وسام لتحصل عليها و أنا خنت أمك لأكون مع علياء

. . .

ذهبت لبيتنا

لأني لا أريد أن أبقى في ذلك البيت للحظة

و مع ذكرياته التي حفرت في قلبي

دلفت الباب . .

لأرى السيد عمران يناظرني باستحقار

تجاهلته و أكملت طريقي

" سمعته يقول " لو سهلت الأمر عليك ..... ما كنت فقدت زوجتك

التفت صوبه" وسام أنا طلقتها ..... طلقتها فقط لأنها تريد أن تتعاون مع الخونة .....و أنا لا أريدها بعد الآن "

" ردد بخفوت " خونة

" رفع رأسه متسائلا " ها؟ خونة

" تابع " بني ....لو ترى الشبه الذي بيني و بينك لما قلت عني خائن

أشبهك ؟ "باستهزاء "

" ها ..... تشبهني .... كلانا فعل أي شيء ليكون مع المرأة التي يريدها "

" أنا خنت أمك .و أنت اغتصب فتاة "

" آخر شيء سأفكر فيه هو أنني أشبهك .....و أمر تشابهنا مستحيل .....و تحليلك ليس بصحيح "

" لم قد يكون مستحيل لا تنسى أنك من نسلي "

رمقته بنظرات حادة

و أوليته ظهري

و تركته

...

فيما أنا جالس في غرفتي

غارق بين أفكاري

دخلت أمي

" بني .....أنت هنا ؟ "

" ها ...هنا "

اقتربت مني و ضمتني

" إذن ستبيت هنا ؟ "

أومأت ايجابيا

" ماذا عن زوجتك .في العادة لا تبيت هنا و تتركها وحدها "

" افتعلت ضحكة استهزاء " تطلقنا

" شهقت أمي " تمزح معي ؟

" كلا ..... بل تطلقنا "

" لم .؟.....كيف ؟ .. حقا ؟ "

" قررت أن تتعاون مع عمران الحقير ..... و مع أمها الفاجرة .....و أنا لا أقبل بشيء كهذا "

" بني ..فعلت الأصح ..بارك الله فيك "

" آه يا إلهي تخلصنا منها ...تخلصنا "

قالت ذلك و هي متوجهة للباب كي تخرج

.....

" مستحيل ..... ستتصالحان ..... أعطيا نفسيكما فرصة "

.....

" لم تفعلون ذلك ..... أنتما أصلا تسرعتما كثيرا بقراركما هذا "

.....

" أيّة فرصة .....انتهى كل شيء "

.....

" تريد أمها ..... لتذهب.... لن أمنعها "

.....

" وسام .....ألم تقولي لي بأنك تحبينه .....هل برأيك هكذا يفعل الحبيب "

.....

" ألم تقل بأنك لن تستغني عنها .....و حبها يجري في دمك "

.....

" كلا ...بت أكرهه .....أصلا لو كان يحبني لوقف معي "

.....

" ليست حبيبتي التي تقف ضدي "

.....

" ما رأيك تلتقيان .....و تحاولان التناقش حول القرار المتسرع "

.....

" أعطيا حبكما فرصة .....لا تتعجلوا .....بعدها ستندمون "

.....

" أف ..... لا أعلم "

.....

" سنندم ؟ "

.....

" ألو ..... مرحبا سيد عمران "

" مرحبا ابنتي "

" بخصوص ملقاي أمي .....أريد أن أراها "

" حسنا ..متى تريدين "

". غدا "

"حسنا "

" شكرا"

.....

" خالتي "

و جريت نحوها و ضممتها

" ابنتي .حبيبتي "

" هل حقا ما سمعت "

هزت رأسها مؤكدة بصحة الخبر

" هل تطلقا ..... خرجت وسام من حياته "

" ..... ها بنيتي ..... و هذه إشارة بأنه لا يوجد حب ..... بل مجرد تعلق بالطفولة "

" اووه خالتي .....كم أنا سعيدة "

خرجت من غرفتي حينها رأيت وليد في الممر ...

حينها لمحني

لوحت له بيدي فبادلني التلويح

اقتربت إليه

"كيف حالك ؟ "

" بخير .....و أنت "

" رائعة "

" إذن ..... أي مستجدات ؟ "

" ها .....سأنهي الماجستير "

" ههه .....ألا تملين من الدراسة "

" حقيقة .ليس ملل فقط بل كره "

" إذن ؟ "

انظر .. تخيل معي لو أنهيت دراستي فإن خالتك ستمنعني من الخروج كما أريد ....يعني ستسمح " لكن بتحكم ضيق "

" ..... هل أكلمها ..... ربما تفلح الوساطة "

" هههه .....كلا دعك منها"

وليد

ستكون لي

أخبرتك بهذا

و سأخبرك به من جديد

كان يجمعكما الطفل لا أكثر

و ها قد رحل

و انتهى كل شيء بينكما

.....

وصلنا للمستشفى في مدينة أخرى

و قبل أن أدخل عندها

سألت الطبيب عن وضعها و أعلمني بأن أسير معها خطوة خطوة و أساعدها على التذكر و لا أجبرها

. . .

كانت جالسة على كرسي في غرفتها و حين دخلت رفعت نظراتها عن أرضية الغرفة نحوي

أخذت تنظر إلي بتفحص ثم مالت عيناها المتفحصتان للدامعتين

امتلأت عينيّ دموعها

" ماما "

أجهشنا بكاء

" ابنتي "

جريت نحو حضنها و أخذت أبكي عنده

بدأت تربت على ظهري

". أخبريني .... أنا ضائعة .....لا أعلم أين أنا "

" رفعت رأسي نحوها " حتى أنني كنت لا أعلم من أنا ؟

" لا تقلقي أمي .ستكونين بخير؟ ..أنا معك "

" مصطفى .....أبوك أين هو "

" قلت بخفوت " بابا

.....

" حاولي التقرب منه "

خالتي .. يكلمني .....يضحك معي ..... لكن مثل الباب الموصد بإحكام .....لا يفتح ذلك الباب "
"

"حبيبتي لا تستسلمي ..حاولي .....ستنجحين "

" حسنا ..... أحبه و سأستمر "

.....

أخرجنا أمي من المستشفى و أحضرتها معي للبيت

و طبعا علمت بأن والدي توفي

لكن أتعلمين بأنه كتب لي في رسالته قد مات بعد أن عجز

و أنت كنت سبب عجزه

لكن ماذا أقول ليسامحك الله

" تفضلي "

كانت تمشي بخطوات هادئة و تركنا السيد عمران في الفناء

ثم جلسنا في الصالون أخذنا ننظر لبعضنا بابتسامة

ابنتي ..... هل السيد عمران لا يزال في الفناء ..... ليدم الله فضله ..... لقد ساعدني إلى أن "
" وصلت عندي

" أممم "

عمران عمران

أتمنى يا أمي حين تعود ذاكرتك ستكونين قد حذفته من عقلك

.....

فتح لي علي البوابة لأرى تلك التي كانت جالسة مع كنزه على كراسي الحديقة

بعد أن أجبرني

كل من علي و كنزه على أن آتي إلى بيتها و نتناقش في قصة الطلاق

كان كنزه و علي يتحدثان

و يريدان أن يحركوا الجو قليلا و يقضوا على التوتر الذي يملأه

لكن بمجرد أن أدركت بأن أمها داخل البيت

" أوف .....أتيت لهنا لأنكما قلتما ذلك..... لكن لم أعد أحتمل "

نظرت لوسام و قلت " كلامي الأول و الأخير ..... لا يهمني بما ستبرر فعلتك .لكن لك اختياران .....يا أنا يا أمك "

" وقفت و نظرت إليّ " بالتأكيد أمي

نظرت لها و الشرر يتطاير من عيني

" أنت طالق "

"أنت ط "

" قطعني علي الذي قام و صرخ " توقف ..... لا تجن ...ماذا .....تريد أن تكمل الثالثة

رمقتهم بنظرات حادة

أوليهم ظهري و خرجت من ذلك البيت

ها كنت سأكمل الطلقة الثالثة و أنتهي منها

و للأخير

.....

"لماذا لم تتكلمي معه بهدوء .... ماذا لو طلقك ثلاثا "

" .... و ماذا يفرق اثنتان أو ثلاث .....ما أنا سأصبح طليقته و انتهى الأمر "

"..... أنتما الاثنان لو تلتقيا مرة أخرى ستنهوا الأمر "

" حسنا .....ستتطلقان .....لكن دعوها خاتمة حسنة لعلاقتكما "

.....

مصطفى لم تنظر إليّ هكذا

مصطفى لما لم تبحث عني

مصطفى حبيبي امتدت يدي لتلمس وجنته

إلا أنه أمسك يدي بعنف و أبعدها

" هل الآن تذكرتني .....الآن فقط .....تذكري ماذا فعلت قبل أن تعودي .قبل أن تتركيني "

مصطفى

أنا

استيقظت فجأة من هذا الكابوس

أمسكت رأسي و أغمضت عينيّ

بدأت مشاهد تعرض في دماغي

راكبة في طائرة و تلك الطائرة اصطدمت فجأة بسرب طيور

"..... *خنتني ..خنت حبي لكي* "

" *مصطفى سئمت منك و من شكك فيّ* "

" *ماما .أنت خائنة خائنة* "

يا إلهي ماذا حدث قبل هذا الوضع الذي وصلت إليه

مصطفى لما تعاتبني

ما هو الأمر المخفي عني

شربت كوبا من الماء عله ينعشني

و بالفعل أفادني

.....

" لكن هل تعلم بان بعد كل ما حدث ...أحبك ..أموت فيك عشقا "

" لم تفعلين هذا ..... و لا مرة أعطيت لحبك وجه .....أنت من فهمني غلطا "

ماذا تقصد وليد .....إذن أعطي قلبك فرصة لعله يقع في حبي ..... أنت الذي محكم القفل " عليه "

" .....سلمى ليس الأمر كذلك .....لكن أنت فاهمة لحبي لك خطأ.....لطالما أحببتك كصديقة "

" و هل يمارس المرء الجنس مع صديقته "

" . آسف .....و بقدر ما اعتذرت لك على ذلك الطيش الذي كنا نمارسه .....لن أعيد لك حقك "

" لذا تفهمي حب الصديقة الذي أكنه لك "

"..... كلا لا أريد حبك هذا ....أريده مثل حبك لوسام "

" تابعت " ها مثل وسام .....ما الشيء الذي تملكه هي حتى أحببتها بتلك الطريقة

" سلمى أنا ووسام انتهى كل شيء بيننا "

" حقا ؟ ..... تركتها جسديا .....لا عاطفيا "

.....

كنت جالسة في الفناء أشرب قهوتي حينها وصل البريد

كان ظرفا كبيرا

دخلت للبيت و توجهت لغرفتي

أمسكته و فتحته

لقد كان ورقة الطلاق

موقعة من طرف وليد ألسلامي و تنتظر توقيعي

حينها طرق باب غرفتي

" حبيبتي ..... الغداء جاهز "

خبئت الظرف تحت سريري

و أسرعت في الخروج

أمي لا تعرف بقصة بزواجي من الأساس

و لا أرى داعيا من معرفتها للأمر

لأنه سينتهي كأنه لم يكن

.....

كان من حين لآخر يأتي السيد عمران و أدعهما في الصالون وحدهما يتحدثان يسألها أسئلة عادية عن حالتها

و وضعها الصحي

أصبحت أترك هذا الرجل يدخل لبيتك يا بابا

و يتحدث مع من كانت زوجتك و حبيبتك

أبريك صحيح ما أفعله

أنا أساهم في تطور علاقتهما

هل كنت ستسامحني لو كنت حي و ترى ما يحدث

و أنت من دونت لي رسالتك تلك بأن أمي سبب وجعك و ألمك

في إحدى المرات كان عند الباب يريد الدخول لرؤيتها " سيد عمران .ألا ترى بأنك زودتها كثيرا بزياراتك ....كما أن أمي لا تجد داعيا لذلك .....و الناس في البلدة سيتحدث عنا ....لذا راعي الظروف التي نحن فيها "

.....

بإنهائك لعدتك

ينتهي كل شيء كان بيننا

و تصبحين طليقتي شرعا

و أبقى انتظر تلك الورقة التي تحمل توقيعك دلالة أخرى أننا تطلقنا قانونا

بالنسبة لسلمى تفهمت الأمر . .

و بأن حبي لها كان كصديقة لا أكثر

لقد أخطأت حين امتدت يداي لجسدها و لمسته

يقتلني الندم ألف مرة على فعلتي تلك

و أيضا هي سلمت نفسها لي بسهولة

كانت دائما تبرر فعلتها تلك بحبها و جنونها بي

لكن أمي أيضا لم تتوانى عن تشجيعها في التقرب و التودد لي

....

" ألو "

" ألو وسام "

" ما بك لم صوتك عبوس هكذا ؟ "

أتعلمين بأن التحاليل التي توضح وضعك الصحي خرجت ..... و أنت ولا على بالك .....لما "
" لم تسألي عنها

" لقد نسيتها "

" نسيتها؟ .....لو لم تتصل الدكتورة تعلمني ..أف.....أصلا لم هذه الولدنه "

" حسنا اصمتي .....أخبرتك بأنني نسيتها لم هذا العتاب "

" العتاب من أجل ما هو مكتوب في التحاليل "

" ماذا يوجد في التحليل "

" وضعك سيء ..... لذا يجب أن تعتني بنفسك أولا لا أمك "

.. .

كانت تريني و تشرح لي وضعي بعصبية جاءت كنزه و دلفت الصالون و

ههه هي تخاف عليّ بشدة

تحبني و أحبها

توأم روحي المجنون

قالت لي "هاي .وسام أنت وضعك متدهور منذ أن فقدت الجنين ..... كما أن فقدان طفل على
" وشك الولادة أخبرتني الدكتورة بأنه ليس بالأمر الهين على صحتك .....لذا حافظي على صحتك

ثم أشارت بإصبعها تحذرنا بسخرية " و إلا نخطفك أناو علي لبيتنا و تبقي عندنا حتى تعود لك صحتك من أول و جديد ....فهمت ؟ "

" نعم "

" فهمت "

" نعم "

" فهمت "

" نعم "

" ألف مبروك أصبحت زوجتي "

هههه .....هذا ما ينقصني أتزوج شخص مثلك .....دائما ما أدع لي علي في صلاتي ...أن يطعمه الله الصبر و السلوان على زوجة مثلك "

" هههه يعشقني بجنون .....دائما ما يقول ليي بدونك ماذا كنت سأفعل "

" يا عمري ..... كم أنتما رومانسيان "

.....

كنت أنزعج كثيرا كلما أمي تبدأ بالتحدث عن السيد عمران

و عن زياراته لها

و حين أسألها عن سبب ذلك

تتوتر و تقول بأنه من داعي الاهتمام

كما أنني كنت سكرتيرته الخاصة

حقا

لو أعلم بأنك لا تزالين تملكين ذرة إحساس لذلك الرجل لن أسامحك

أنا معك فقط أمل في أن تعودي امرأة الماضي التي أحبها أبي

كما عدت إليك لأنك إحدى رائحة ماضي

أنا أحتاج لماضي

لأني لن أستطيع التقدم خطوة واحدة للأمام

لو لم أصلح ماضي الألم و الحزن

.....

" ابنتي أريد التحدث معك في أمر مهم "

" ها .تفضلي "

" قبل أسبوعين تقريبا .....أقصد حين زارتك كنزه "

" إيه "

"..... سمعتها تقول بأنك فقدت طفلا "

" هل كنت حاملا."

بقيت أحملق بها

لا أعلم ماذا أقول و أفعل

على صوتها قليلا " أخبريني .....هل كنت حاملا ... لا تنسي بأنك لست متزوجة كيف تكوني حاملا "....

اقتربت مني ضاغطة على صوتها " ماذا فعلت يا غبية في الفترة التي تركتك بها ..... هل وجدت " الجو سانح لك لكي تطيشي

صعقت من استنتاجها

إذن هذا هو توقعك بي

أنني فاجرة

بأنني خنت شرفي

لكن ماذا عني أنا

ماذا أتوقع حيالك

ألم أنعتك يوما بأنك فاجرة خائنة حقيرة

هل انقلبت الدنيا

مستحيل أن أسمح لك بتجاوز حدود المرأة الطاهرة التي تدعينها

" حقا .....إذن أنا من أصبحت فاجرة و حقيرة و "

صرخت " ها .....أنت كذلك .....مع من فعلتها قولي .....و هل جلطة والدك بسبب فعلتك "

بدأت أضحك

أضحك على القدر

و على استنتاجك الساذج

حقا يبدو أن الدنيا انقلبت

" صرخت " أبي أتته جلطة بسببك .....بسبب خيانتك له

أبعدت يدها المحذرة بعنف " نعم ....أنت سبب جلطة أبي .....خيانتك سبب جلطة أبي .....خيانتك لأبي مع السيد عمران .....أنت لم تكوني مجرد سكرتيرة عمران *ألسلامي* ....بل كنت عشيقته ....." أيضا.

كانت تعود للوراء و تتأرجح في مشيتها و ممسكة برأسها

" لقد قتلتي والدي .أنت ...و لست أنا ..... حضرة الخائنة "

فقدت صوابي

و أخذت أذكر كل اللحظات التي خانت فيها أبي

مع عمران *ألسلامي*

لأني عقلي لم يتقبل فكرة أن أكون الفاجرة

فيما أنها حملت اللقب طيلة 5 سنين

بدأ وزنها يختل

آآآآآآآآه " أطلقت تلك الصرخة المدوية "

التي جعلتني أفيق من دوامة الأفكار التي غرقت بها

" صرخت " ماما

و سقطت مغشيا عليها

.....

اتصلت بي وسام تعلمني بأنها أخذت أمها للمستشفى

شغلت محرك السيارة

و أسرعت بكل ما أوتيت من سرعة للمستشفى

حين وصلت وجدت وسام جالسة تبكي

" خيرا ... .وسام ....أين هي علياء ؟ "

" في الداخل "

" ماذا قال الدكتور "

" لم يأتي بعد "

بعد لحظات جاء الدكتور

" كيف حدث هذا يا آنسة .....هل أجبرتها "

"..... كلا لم أجبرها .....زلة لسان "

" قلت " وسام ...ماذا قلت لها ؟

" صرخت " لم أقل شيء .....لم أقل ..... حلو عني

و ابتعدت و أخذت تبكي بشدة

" سألت الدكتور " و الآن ما العمل ؟

سننتظر حين تعود لوعيها ..... و نرى كيف حالتها .....لأنه إن تعرضت لشيء في دماغها "
" سنضطر لأن نقوم لها بعملية في أسرع وقت

" سننتظر ؟ "

هز رأسه مؤكدا

يا الله

علياء اخرجي معافاة

هيا أعلم بأنك قوية

.....

بعد لحظات خرجت الممرضة

" أهل المريضة علياء *شاهين* "

أشرت نحوي و نحو السيد عمران

لا أدري لم أشرت له

لكن ندمت لاحقا

" لقد أفاقت و هي ...بخير "

" أوه"

تنهدت راحة

و استشعرت السعادة تختلج أوردتي

لكن حالما زالت

" المريضة تريد رؤية عمران *ألسلامي* "

ماذا عمران

لكن أنا

ماذا عني

دخل إليه و هو يبتسم

دنوت من النافذة الزجاجية

بخطوات بطيئة و هادئة

لأبصر أمي في حضن ذلك الرجل ثم يقبل جبينها و نظرات العشق و الهيام المتبادلة بينهما حرقت قلبي

ماذا

أمي

هل فعلتها ثانية

عند تلك اللحظة كنت أريد تنشق الأرض و تبلعني ..

أحس بأن قدماي لا تحملاني

و سأفارق هذا العالم

لأسقط مغشيا عليّ

.....

كنت مستلقيا على سريري

في غرفتي

ممسكا مجلة رياضية

لا أدري ، أنا لست من عشاق الرياضة إلا أنني كنت أتصفحها لعلي أملأ وقتي

حينها وصلني اتصال

" ألو ..... سيد وليد "

" نعم تفضل "

" زوجتك .....السيدة وسام *ألسلا*مي ....في المستشفى و وضعها سيء "

" حسنا .....قادم "

.....

بدأت أعود لوعيي

و أفتح جفوني بصعوبة

لا تزال الصورة ضبابية

و في مرآي شخص ينظر نحوي

ضيقت جفنيّ على أدركه

لقد كان وليد

" وليد "

همست باسمه ما إن عرفته

" وسام .....هل أنت بخير "

.....

أجهشت بكاء ما إن سألتها إن كانت بخير

و أخذت أراقب ألم عينيها

" هزت رأسها نفيا و قالت ببكاء " لست بخير .....لست بخير .....أنا في أسوء حالاتي

" ما بك ؟ "

أغلقت عينيها و عصرت دموعا

" ماما "

نظرت بحيرة

أمها

" ما بها " خانت بابا مرة أخرى ..... خانته .....و ستبقى تخونه

" ماذا تقصدي ؟ "

قالت الممرضة التي كانت تعدل كيس المصل الخاص بوسام

" أمها عادت لها ذاكرتها و هي الآن مع السيد عمران "

طبعا الممرضة ستعرف أمها و السيد عمران لأنها على ما أظن من هذه البلدة

كما أن هذا المستشفى يقع في البلدة

لذا عماله و مرضاه تقريبا كلهم منها

" حسنا .....لا تقلقي ...سيكون كل شيء على ما يرام "

" كلا ....بل تدمر كل شيء "

.....

دخلت لبيت أبي

نعم بيت أبي فقط

و ليس أمي و أبي

لأنها لا تستحق أن تكون حيث يكون اسم أبي موجود

كان ممسكا بكتفي يداي وليد

فقد كان معي منذ أن جاء للمستشفى

عكس التي تخلت عني و جرت لأحضان عشيقها

أدخلني لغرفتي حتى أرتاح فقد كنت منهكة جسديا و نفسيا

" ارتاحي .....سأرى من القادم ؟ "

القادم

ماذا يقصد هل دق الجرس

في الحقيقة لم أسمعه لأن عقلي لم يكن معي

كنت غارقة مع قلبي الذي كان مصدوم مما فعلته تلك المرة لثاني مرة أتدمر بسبك

و لكن هذه المرة خسارتي كانت أكبر

.....

كان السيد عمران ومعه عشيقته

بقي هو في الفناء

" فيما هي دخلت " أريد رؤية ابنتي

لم يكن لي حق في أن أتدخل بين الأم و ابنتها مرة ثانية

" لحظة "

ذهبت لغرفة وسام طرقت ثم أدليت برأسي مطلا

" وسام .....أمك "

هزت رأسها نافية

" ذهبت لأمها " لا تريد رؤيتك

" لكنها ابنتي "

" لكنها رفضت "

حاولت أن تتجاوزني لتراها لكنني منعتها

" ثم بدأت تصرخ " ابنتي .وسام دعيني أكلمك

" أضافت " وسااام

" سمعت صرخات وسام " لا أريدك .....اتركيني .....دعني و شأني

" ابنتي "

" لست ابنتك أكرهك.....أكرهك "

كانت وسام تصرخ كالمجنونة

تركت تلك المرأة و أسرعت لغرفة وسام

" كانت تصرخ " أكرهك .....ابتعدي عني اتركيني

" لا أريدك .....لا أريدك ..... اخرجي من بيت أبي "

دنوت منها و ربت فوق خمارها و قلت بحنان" وسام .....وسام .هيا اهدئي .....خذي نفس هيا .خذي "

قالت بخفوت و رجاء" وليد ...أرجوك .....أبوس يديك .أخرجها لا أريد أن أراها .....أقتل نفسي .لو أراها أمامي "

"..... لا ..... لا .....لا تفكري هكذا .استهدي بالله "

" لا تقلقي سأجعلها تغادر .....لا تخافي "

وجدت تلك المرأة جالسة على الأرض و أمامها السيد عمران واقفا يحثها على السير معه

" لا تريد رؤيتك .....لذا دعيها وشأنها ..... هيا اذهبي "

" إنها ابنتي .....وليد تكلم معها ..... أخبرها بأنني أمها و أحبها "

افتعلت ضحكة سخرية " لو يعود الأمر لي ..... لجعلتها لا ترى وجهك نهائيا بعد فعلتك تلك .....لذا هيا .....و لا تدعيني أغير أسلوبي "

" ثم نظرت لعشيقها " هيا خذ عشيقتك .....و اذهب من هنا

.....

فتحت باب غرفة وسام لأراها ترمي خمارها فوق شعرها

اقتربت من سريرها و جلست على طرفه

و أخذت أناظرها و عيناها و جمال باطنها و خارجها

ما هي إلى لحظات حتى مالت شفتها السفلى للأسفل و عيناها أنذرتا بهطول دموعها

أنا غبية " أجهشت بكاء و شهقت ثم وضعت يديها على فمها تمنع شهقاتها من الارتفاع "

أنا أكبر غبية .....خدعت بها لثاني مرة .....كيف فعلتها .... ألم تخنا أنا و أبي .....ألم تكن جلطة أبي بسببها .....لماذا يا ربي "

"..... رفعت ناظريها إلي " كيف أدخلتها لمنزل أبي .....للمنزل الذي هربت منه

" آآآه ..... ما إن تذكرت عشيقها .....حتى ركضت لحضنه .....و أنا؟ "

" ضربت بقبضتيها على السرير " أنا ...لا أريدها .....لا أريدها

" اقتربت منها و أمسكت يديها " توقفي ...اهدئي

اقتربت و رميتها بين أحضاني و أخذت أربت على ظهرها

" هششششش ..... اهدئي .....اهدئي "

كانت بين أضلعي

تبكي قهرا مما فعلته بها تلك الحقيرة

المجرمة التي أجرمت في حق قلب حبيبتي

أمسكت بوجهها و قربت وجنتها أطبع قبلة عليها

"إلا أنها أبعدتني بكفها و قالت بضيق " و..ليد

و أبعدتني عنها كليا

و أخفضت نظراتها ليديها المتشابكتان على السرير

امتدت يدي لذقنها و رفعت وجهها الجميل و أخذت أنظر لجمال تفاصليه

" همست باسمها " وسام

رفعت نظراتها لي

ثم أخفضتها

" لقد رددتك لعصمتي "

أجهشت بكاء

و نظرت إلي بدهشة و ضربت يدي الممسكة بذقنها

" أنت تكذب "

هززت رأسي نافيا

هل ستنتهي عدتك يا وسام

هل ستصبحين طليقتي ، لن تبقي زوجتي ، هل سأترك يدك بعدما وافقت أن تمسكي يدي ، لن تبقي حلالي ، كيف سأتركك بعدما عدتي لي ، لقد تركتك في الماضي و انظري ماذا نتج ، هل سأكرر خطأ الماضي .

كان قد بقي يومان و تنتهي عدتك ، كنت أعد الأيام و أنا أتوجع و أتألم على فراقك .

لا مستحيل حبيبتي ستتركني ، لن تبقى ملك يميني .

خرجت من البيت كالمجنون و قلبي ينزف وجعا ،و أنفاسي أكاد ألتقطها بصعوبة ، و دموعي ملأ وجنتيّ .

و ركبت سيارتي

إلى المأذون

كي تعودي إلي ، قبل فوات الأوان ، قبل أن أندم على فراقك يا حبيبتي

قالت بحزن

" و لكن عدتي انتهت "

"..... اقتربت منها و أمسكت وجهها " حبيبتي .رددت لعصمتي قبل أن تنتهي عدتك

" قالت و هي تمسح دموعها كطفلة صغيرة " لا أزال زوجتك ؟

" لا .....ليس زوجتي فقط .بل عشقي و هيامي .....و ملكي "

" دفعتني و وجهها عبوس " كلا

و جلست على الأرض و أنزلت رأسها تحت السرير و سحبت شيء

كان ظرفا مألوفا

" و سحبت ورقة وقالت " انظر ..... لقد وقعت أصبحت طليقتك

سحبت الورقة من يديها و مزقتها إربا إربا

" ها .....لا يوجد طلاق .....لا تزالين زوجتي شرعا و قانونا "

" حقا ؟ "

" طبعا "

" هل ستعودين لبيتنا "

هززت رأسك موافقة

و انطلقت ضحكتك من وسط دموعك

و ركضت لحضني و ضممتها بكل ما أوتيت من قوة

كنت خائفا ما إذا أفلتها

ترحل و تتركني

و لا تعود ملكي

أبعدت رأسها عن حضني "وليد سامحني .....حين قررت أن أرجع عن قرارك ....لقد كنت .. غبية و كنت محقا ..... خدعتني "

قبلت رأسها

انسي كل ما حدث .....و انسي ما فعلته لكي ..و سامحيني أنا .....أنا ما فعلت لك كان "
" أصعب بكثير

" أخذت يدي الممسكتان وجهها قبلتهما " سامحتك .....فقط ابق معي و لا تتركني .....أنا أحبك

" و أنا أعشقك "

قبلت شفتيها الممتلئتين و الورديتين بكل ما أوتيت بقوة

ثم أخذت أقابل نظراتها نظرات العشق و الحب

لترفع من طولها و تطبع قبلة على شفتي

لننساب بين أحضان بعضنا البعض

و أغرق في حبها و عشقها

.....

" كنزه .....هل تعلمين ماذا حدث ؟ "

" ماذا ؟ "

" والد وليد ..... .قيل أنه رأوه مع علياء عند المأذون و عقد قرانهما "

" ماذا ؟ ....إذن فإن ذاكرتها عادت لها "

" كما أنهما رأوهما يرحلان من البلدة "

ماذا ....ماذا عن وسام .....يا إلهي إذن من خسر من كل هذا وسام و وليد علاقتهما دمرت "
" بسببهما

" ..... و الآن بقيت وحدها .....إذن فهي وحيدة في المنزل .....علي دعنا نذهب إليها "

" اهدئي..... .حل الليل لنذهب غدا "

".... برأيك غدا "

" ها ..حبيبتي غدا نذهب .و تبقي معها بقدر ما تشائي "

" حسنا "

.....

في الصباح ذهبت لبيتها

ربما لا تزال نائمة

حسنا سأدخل بنفسي

لأنها أعطتني مفتاح بيتها بعد وفاة والدها

إنها تشاركني كل شيء

كان معي علي

" سأذهب لأوقظها .....انتظرني "

توجهت لغرفتها و فتحت الباب

و يا ليت لم أفتح

" وسام "

همست باسمها

لأرفع نظراتي لذلك المنظر

كانت وسام عارية نائمة بين أحضاني وليد الذي كان عاري الصدر

أغلقت الباب

و جريت نحو المطبخ حيث كان علي

" حبيبتي .ما بك مصفرة هكذا "

" لا ..لا شيء "

.....

أفقت بسبب تلك التي قدمت للغرفة بدون سابق إنذار رفعت جسدي

" وسام .....بحق .....كنزه لم دخلت ؟ "

" ههه .....دعك منها .....و أنت لم تلومها ....مثلا هل كانت تعلم بأنك هنا "

كنت مستلقية و مغطية صدرك اللحاف

و شعرك منساب على الوسادة

أنت تعلمين بأنها ستبقى تثرثر على الموضوع لأكثر من أسبوع "رفعت جسدك و انساب اللحاف " الذي كان يغطي صدرك

و اقتربت مني و طبعت قبلة على ذقني و أخذت تقرصي لحيتي

" ما هو الموضوع الذي ستتحدث عنه ؟ "

" همست لك " أرى أنك أصبحت جريئة قليلا

كنت تنظرين إلي نظرات مشحونة بالجرأة

" قلت متسائلة و مندهشة " قليلا؟

واثقة من نفسك " أمسكتك من كتفيك و أنزلت مستلقية على السرير "

و أخذت أطبع قبلات عشوائية على وجهك و صدرك و أنت تضحكين بخفوت

" وليد توقف ...الباب مفتوح .ستأتي كنزه .توقف "

" رفعت رأسي " أخبرتك أنك لست جريئة

" بلا .....أنا كذلك "

"حقا ؟ "

ضحكت على المكشرة العبوسة

و احتضنتك

.

.....

قمنا و ارتدينا ثيابنا

و نحن نتبادل نظرات العشق و الحب و الغرام و الهيام

أحب كلمات الحب المتعددة و بالأخص حين أجمعهم معا

و من حين للآخر تغمز لي

ارتديت ثيابك و حين قمت أرتدي ثيابي

كنت تسرق لي قطعي ثيابي

مرة حمالة صدري و مرة سروالي

كنت جنوني

" قلت لك " أنا في بيتي و أملك ثيابا أخرى

ثم جريت نحو الخزانة و أوليتها ظهرك و لم تدعني أخرج ثيابي

..

خرجت و الحمرة تكسوني

" حين رآك علي دهش " ماذا وليد ماذا تفعل هنا ؟

ضحكت و نظرت إلي

نظرت نحو كنزه لأجدها تهرب بنظراتها و كانت أيضا الحمرة تكسوها

ثم التقت نظراتي بها و انفجرنا ضاحكتان و تلانا وليد

" تصالحتما إذن "

استنتج علي

و هما هل يستطيعان أن يعيشان بعيدان عن بعضهما " هزت كنزه رأسها بزهو "

و غمزت لي

اجتمعنا حول مائدة الفطور

و أخذنا نملأ بطوننا بالطعام

و أملأ قلبي بالحب

و انظر لوليد الذي كان مقابلي

.....

أنظر للرجل الذي أحببته منذ صباي إلى كبري

أحببته و أحبه و سأحبه للأبد

سأبقى فقط أزيد جرعات حبي لك

أريد أن أحيى بقربك و بين أحضاني

أأسرني بين أضلعك التي أصبحت أعشقها

لم يبق لي أحد غيرك في دنياي و لا أظن بأنني سأجد غيرك

يهتم بي مثلك و يحبني مثلك و يخاف عليّ مثلك

أحبك يا نور عينيّ

.....

من قال أن بعد كل هذه السنون ستوعدين لتكون لي و ملكي

رغم ما فعلته و شياطيني التي اتبعتها

سامحتني لأنك حبيبتي و عشقي و هيامي

كنت ولا تزالين و ستبقي

غرامي الأول و الأخير

أحبك حبا لا أستطيع وصفه و لا تقديره

أحبك و أريدك ملكي

و لي

و فتاتي

و روحي

و أنفاسي التي أستنشقها لأحيى

جميلتي التي أراها أجمل امرأة في هذا الكون

و نقيتي التي أجدها أنقى واحدة في هذا العالم

بعد أن انتقمت منا خطيئة أهلنا

انتقم منا ماض مر لأبوينا

و كدنا أن نقع أسيرا ذلك الماضي و نعيد تدوينه بنفس الطريقة و يبعدنا عن بعضنا

تمسكت بك لآخر لحظة و استحفظت عليك لتكوني لي في الأخير

أحبك

للأبد حبيبتي

وسام

النهاية

. . .

تمت بحمده

" نلتقي مع صفحات " *يهون كل شيء من أجلك*